الدِّلالة المعنويَّة
للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة من التَّكبير إلى التَّسليم
دراسة بلاغية

د. ذعار حميدان نايف الحربي

أستاذ الأدب والبلاغة المساعد في قسم اللُّغة العربية

كلية الآداب - جامعة حفر الباطن

الدِّلالة المعنويَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة من التَّكبير إلى التَّسليم

د. ذعار حميدان نايف الحربي
أستاذ الأدب والبلاغة المساعد في قسم اللُّغة العربية
كلية الآداب - جامعة حفر الباطن

تاريخ تقديم البحث: ٢٦/ ٢/ ١٤٤٥هـ **تاريخ قبول البحث:** ١١/ ٥/ ١٤٤٥هـ

ملخص البحث:

هدفت الدراسة إلى دراسة بينية تجمع علم البلاغة بالسيمولوجيا وتستعين بالفقه والسُّنة، فتدرس ما في الصَّلاة من التَّكبير إلى التَّسليم من بلاغة في اللُّغة الجسديَّة، واللُّغة اللَّفظيَّة، وبلاغة اشتراكهما معًا، أو انفراد أحدهما عن الأخر، ومطابقة ذلك ما يقتضيه الحال، وعلاقة اللُّغة الجسديَّة بعلم المعاني أو البيان أو البديع، وبلاغتها حيث الإيجاز، وإظهار المعنوي بصورة المحسوس؛ ليستقرَّ في الذهن، ويُقنع ويؤثر، ومنها ما يأتي إطنابًا، كالتَّورُّك الَّذي زاد عن هيئة الجلوس للتَّشهد الأوَّل؛ لفائدة، والتوكيد بين اللغتين برفع اليدين مع التلفظ بالتَّكبير، وصور تشبيه الإمامة الصغرى بالإمامة الكبرى في السياسة، والطِّباق بين رفع السَّبَّابة وخفضها في التَّشهد، والترادف بين اللغتين في تسبيح الرجال، وتصفيق النِّساء إذا سها الإمام، وغرض الأوَّل الإسماع، وغرض الثاني السِّتر، والسِّياق والحال المشاهَدة يبرزان المعاني المستترة جليةً بما يناسب المقام والحال.

الكلمات المفتاحية: اللُّغة الجسديَّة — اللُّغة اللَّفظيَّة — علم البلاغة –الحال المشاهدة – النُّصبة.

The moral connotation of body and verbal languages in prayer from Ihrām Takbīr to Taslīm: Rhetorical study

Dr. Thoare Humaidan Naif Al-Harbi

Assistant Professor in Literature and Rhetoric،
Department of Arabic Language
College of Arts – University of Hafr Al Batin

Abstract

The study aimed at an interdisciplinary combination of rhetoric and semiology besides using Islamic jurisprudence and the Sunnah. It studies rhetorics, namely eloquence and connotation, that lie within the prayer, from Ihrām Takbīr to Taslīm, expressed by either verbal expression or body languages or both. This is subject to what is required by the situational context, and its association to the science of significance, eloquence or discourse ornament. The body language uses personification to turn the abstract into perceptible so that it settles in the mind. persuades and influences, such as the denotation of the last sitting of testimony in prayer which exceeds the sitting for the first testimony. The raising of the two hands joint with Takbīr is an emphasis by both languages. And, analogy made between the minor imamte in prayer and the major imamte in politics as well as the index finger raising and lowering while performing the sitting of testimony. The glorification of Allah loudly by men to alert the imam against inattentiveness or forgetfulness during the prayer while women just clap their hands. The context and the perceptible condition help reveal the unseen meaning in conformity with the spatial-situational circumstances.

Keywords: body language, verbal language, rhetoric, circumstantial, Arabic subjunctive mood.

المقدمة

كلُّ إنسان يملك لغة أخرى غير التي يتحدث بها، يُبين بها ويبلغ المتلقي مقصوده، وهذه اللُّغة صامتة غير منطوقة، وأعضاء الجسد أداتها؛ ولقلة الدراسات البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة ارتأى الباحث أن يخوض هذا المضمار، ورأى أن من ميادين سبر أغوار اللُّغة الجسديَّة ما اشتملت عليه الصَّلوات الخمس من لغة جسديَّة، قد تكون ركنًا، أو واجبة، أو سنة، فيستنبط دلالاتها، ودلالات ما عانقها من لغة لفظيَّة، وما يطرأ على اللغتين من أسلوب بلاغي يناسب المقام الَّذي يطابق مقتضى الحال؛ ليثبت الباحث أن من موضوعات علم المعاني والبيان والبديع ما يمكن أن تندرج تحته لغة جسديَّة، كما في التراكيب اللَّفظيَّة، مع الغوص إلى ما وراء ذلك من أثر بلاغي، يكشفه المقام والحال، وهذه الدِّلالات كما أنَّها ظاهرة في أثناء الصَّلاة، فكذلك تظهر في مقدماتها وما يتبعها، فتوقيت وقتها المكتوب يشير إلى أهمية الوقت وحفظه، وطهارة القلب والجسد والملبس والمكان، تشير إلى أهمية ما يستعد من أجله، ولغة المشي إلى الصَّلاة تهدي إلى السكينة المناسبة لمقام الخشوع في الصَّلاة، ومكان الاجتماع للصلاة له دلالات بواسطة النُّصبة التي تستنطق الصامت، فخمس صلوات في مسجد، وجمعة في جامع، وأعياد في مصلى، لها دلالات، فالصَّلوات الخمس في مسجد الحي لغة تشير إلى حاجة الأقارب والجيران إلى الترابط، والألفة، واللحمة الدائمة التي تجمع بين نجاتهم الأخروية، وتَلمُّس حاجاتهم الدنيوية، ثمَّ يتسع الاجتماع في الأسبوع مرة كل يوم جمعة، حيث الجامع الَّذي يجمع المصلِّين من عدة مساجد؛ لتتسع

دائرة اللحمة بخيريها الأخروي والدنيوي، ثمَّ تتسع اللُّغة في العيدين في مصلى يجمع أهل المساجد والجوامع في السنة مرّتين، ثمَّ يأتي ركن آخر تمتد فيه لحمة المسلمين؛ لتظهر صورتها في اجتماع المسلمين من مختلف البقاع في الحج؛ يوم عرفة، على أطهر البقاع، حيث اتحاد العالم المسلم في المكان، والزمان، والركن، والقبلة، والهدف؛ لتبرز لحمة الأمَّة الإسلامية إلى أن يأتي يوم الجَمْع -نسأل الله رحمته- وكل هذه الدِّلالات دعت الباحث إلى ما هو أكثر عمقًا في تحديد النطاق؛ ليلج في الصَّلاة نفسها دارسًا ما اشتملت عليه من لغة جسديَّة ولغة لفظيَّة، من التَّكبير إلى التَّسليم.

فاللُّغة الجسديَّة أو اللُّغة اللَّفظيَّة دالتان، ومدلولهما يفهمه المتلقي من السِّياق أو الحال فيبلغه المعنى، فاللُّغة الجسديَّة لغة صامتة لكنَّها ذات دلالة، وإذا كان في اللَّفظ رمز؛ فكذلك في الجسد، وفي كليهما علم معانٍ، وبيان وبديع، غير أنَّها في اللَّفظ أكثر، والجسد لغته تأتي دفعة واحدة، كما ذكر بعض البلاغيين، فتكون من قبيل الإيجاز[1]، وربما أكد الجسد اللُّغة الجسديَّة أو اللُّغة اللَّفظيَّة، أو اللَّفظ يؤكِّده، فرفع اليدين الدَّلة على الاستسلام يؤكِّده قولنا: الله أكبر، الدال على الاستسلام لله بالتَّوحيد الخالص، والترادف بين اللُّغة اللَّفظيَّة والجسديَّة يتلاحم في مثل مقام سهو الإمام، فالرجال يقولون: سبحان الله، والنِّساء يصفقن، كما دلَّ عليه قوله -ﷺ-: "التَّسبِيح لِلرِّجَالِ،

(١) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص٢٠٠.

وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ"[1]، وكالترادف في دلالة القيام، والرُّكوع، والسُّجود، والجلوس على التَّذلُّل والعبودية، وقد تكون للدالة الجسديَّة الواحدة أكثر من مدلول فتكون مشتركًا جسديًاكالمشترك اللَّفظي، فلغة العضو بصفة واحدة يكون لها أكثر من معنى، والسِّياق وقرائنه هو الفيصل في المقصود، فبالسَّبَّابة تكون دلالة التَّوحيد، والإشارة إلى الشيء لحاجة، وفي غير الصَّلاة تكون دلالة السبِّ أو التَّهديد والوعيد، وبما يفهم من السِّياق، وفي الجسد لغة حقيقية، وتشبيهات وكنايات، وفيه بديع كالطِّباق في رفع السَّبَّابة وخفضها عند التَّشهد، وعلم معانٍ كالمساواة في هيئة الجلوس في التَّشهد الأخير من الثنائية، والتَّشهد الأوَّل من ذات التَّشهدين، وكالتورية الجسديَّة الدَّلة على السِّتر والحياء الَّذي هدى إليه قوله -ﷺ-:"إذا أحْدَثَ أحدُكُم في صلاته فليأخُذْ بأنفه، ثمَّ لينصرف"[2]، والإطناب في زيادة الهيئة بالتَّورُّك في الثلاثية، والرباعية؛ للإيضاح، وكثيرا مما يجري على اللَّفظ من أساليب بلاغيَّة يجري على الجسد بدلالته الحركية، الأمر الَّذي دعا الباحث إلى أن يجتهد في كشف المزيد مما في أوعية الصَّلاة من معانٍ دقيقة، ودلالات عميقة، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[هود: ٨٨].

مشكلة الدراسة

---

(١) صحيح البخاري، باب: التصفيق للنساء، رقم: (١٢٠٣)، ٦٣/٢، وصحيح مسلم، باب تسبيح الرجل وتصفيق المرأة إذا نابهما شيء في الصَّلاة، رقم: (٤٢٢)، ٣١٨/١.

(٢) سنن أبي داود، باب: استئذان المُحْدِث الإمام، رقم: (١١١٤)، ٣٣١/٢، وقال المحققان: إسناده صحيح.

تظهر مشكلة الدراسة في كونها تقف على اللُّغة الجسديَّة، واللَّفظيَّة في الصَّلاة؛ لتبرز بلاغتهما وما بينهما من تعانق، يجلي التلاحم بين اللغتين في إيضاح المعنى وتوكيده، والدِّلالة المعنويَّة من كلٍّ، وذلك إسهام بما يعيننا على الخشوع؛ لحفظ أذهاننا في صلواتنا، وستجيب هذه الدراسة عمَّا يلي:

١- ما الأغراض البلاغيَّة، والدِّلالات المعنويَّة للُّغة الجسديَّة، واللَّفظيَّة في الصَّلاة؟

٢- ما أثر المقام في دلالة اللُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة؟

٣- ما الموضوعات البلاغيَّة التي يمكن أن تنتمي إليها بعض الدالات اللغوية الجسديَّة؟

٤- ما مدى مطابقة اللُّغة الجسديَّة لمقتضى الحال؟

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة في كون وعائها الصَّلاة التي شرعها الله -عزوجل- بينه وبين نبيه -ﷺ- في السَّماء بلا واسطة، فأصبحت الركن الثاني في الإسلام، وتكررت في كلِّ يوم خمس مرات، بأوقات، وصفات، وشروط، وواجبات، تُستقبل لإقامتها القبلة، ويمهد لها بطهارة الأعضاء، والملبس، والمكان، والقلب؛ إشعارًا بأهميتها، وهي أول ما يحاسب عليه العبد، وآخر ما يفقد من الدِّين، وآخر ما أوصى به سيد المرسلين-ﷺ- فملئت أجورًا وكفارات، ولا نجد عبادة تقترن لصحتها اللُّغة الجسديَّة، واللُّغة اللَّفظيَّة كما هو الحال في الصَّلاة، و لم تدرس بلاغيًا بباب مستقل مع أهميتها الكبرى، فتدرس هذه الدراسة اللُّغة الجسديَّة، واللَّفظيَّة، في أركان الصَّلاة، وواجباتها، وسننها؛ لتقف على ما وراء اللغتين من تلاحم ذي دلالات سامية، يكشف المقام أغراضها البلاغيَّة، التي منها تمكين المعنى في القلب، وتأكيده؛ لكونه من دواعي الخشوع، فإذا كان للكلمة البليغة أثرٌ في النفوس؛ فإنَّه إذا أعانها الجسد بحركة مرئية ازدادت النفوس تأثيرًا، وتأثرًا، وبقاءً، وثباتًا.

أهداف الدراسة

١- توسيع وظيفة البلاغة العربية في اللُّغة الجسديَّة، واللَّفظيَّة، وفيما هو سبب من أسباب الخشوع في الصَّلاة.

٢- الإثبات بأنَّ اللُّغة الجسديَّة لغة تواصليَّة، استعملها القرآن في مقامها، وجاءت في الشرائع؛ لتضيف دلالة أبلغ من اللَّفظ وحده.

٣- التأكيد على أن في اللُّغة الجسديَّة ما يصلح أن ينتمي إلى بعض موضوعات أبواب علوم البلاغة الثلاثة.

٤- التأكيد على أن للُّغة الجسديَّة أغراضًا يقتضيها المقام، وتطابق الحال؛ كما في بلاغة الكلام.

٥- الإسهام في الإثراء البياني بدراسة البلاغة في اللُّغة الجسديَّة أسوة بالعلوم الأخرى؛ كالتحليل النفسي، والاجتماعي، وعلم اللُّغة التطبيقي، وغيره؛ لكون البيان هو أداة كل هذه الدراسات.

٦- الرد بالتنظير والتحليل على من عدَّ الإشارة عجزًا لا يرضاه مقام الكلام[1].

---

(١) ورد عند الجاحظ من يعدّ ا ستعمال الإ شارة أثناء الحديث عيًّا، كأبي شمر، قال الجاحظ: "وكان يقضي على صاحب الإشارة بالافتقار إلى ذلك، وبالعجز عن بلوغ إرادته"، ينظر: البيان والتبيين، ٩٤/١، فالبحث يردُّ بالتنظير والتحليل، ويثبت أنّ للُّغة الجســـديَّة بلاغةً إذا وافقت مقتضى الحال سواء أنفردت، أم عا ضدها كلام، أم عا ضدته، وهي في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وبعض العبادات.

منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على اللُّغة الجسديَّة، واللُّغة اللَّفظيَّة في الصَّلاة، والإفادة من الأدلة التي تكشف عنها من مصادرها الصحيحة، من غير إحاطة بكل صفاتها الصحيحة، أو خوض في اختلافات الفقهاء فيها، واعتمدت على ثلاثة مناهج:

١- المنهج الوصفي؛ حيث تعرضت لما ذكره العلماء السابقون من وصف لحركة الجسد، ودلالاتها المعنويَّة.

٢- المنهج التحليلي؛ لتحليل اللُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة، واستنباط ما وراءهما من أسرار بلاغيَّة، بعد استقراء الأدلة اللَّفظيَّة، والأفعال الحركية في مختلف مواطنها من الصَّلاة، في مصادرها الشرعية، وتحليلها تحليلًا دلاليًا؛ لمحاولة الكشف عما بين اللغتين من تعانق دلالي.

٣- المنهج المقارن؛ حيث قارنت في المقام بين اللُّغة الجسديَّة واللُّغة اللَّفظيَّة، وأثر تعانقهما في المعنى.

واعتمدت الدراسة على بعض الاختصارات المشتهرة مثل:(ط: طبعة، د.ط: دون رقم طبعة، ط.ت: دون تأريخ طبعة، د.م: دون مكان النشر، ص: صفحة).

الدراسات السابقة

لم يعثر الباحث على دراسة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة اتخذت الصَّلاة ميدانا لها من وجهة بلاغيَّة، لكنَّه استضاء بإشارات عامة، وإيماءات عابرة، في علوم متنوعة من كتب اللُّغة والبيان، ودراسات في التحليل النفسي، أو الاجتماعي، أو علم اللُّغة التطبيقي، مع الإشارة إلى ندرة الدراسات البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في العربية، ومما وقف الباحث عليه من الدراسات البلاغيَّة في ذلك ما يلي:

١- لغة الجسد في القرآن الكريم: العين والوجه واليد نموذجًا، دراسة بلاغيَّة للدكتور: كمال عبدالعزيز إبراهيم، من منشورات الدار الثقافية للنشر جاءت في ١١٢ صفحة، وهي دراسة مقصورة على الآيات التي ذكرت فيها حركات الوجه واليد والعين في القرآن الكريم، فيكشف دلالات ذكر هذه الأعضاء الثلاثة عن طريق الكنَّاية، ويشير أحيانا إلى أنَّها تحتمل الحقيقة؛ مستعينًا بكتب التفسير ذات النزعة البلاغيَّة.

٢- البلاغة القرآنية في التصوير بالإشارة والحركة الجسمية، للدكتور: عبدالله محمَّد سليمان هنداوي، مطبعة الأمانة ١٤١٦هـ، في ١٥٩ صفحة، وجعله المؤلف قسمين: الأوَّل: التصوير بالإشارة الحسية والمعنويَّة، واستعرض فيها بعض ما أشار إليه العلماء العرب القدامى من دلالات إشارات وإيماءات، والثاني: التصوير الحركي بالأعضاء الجسمية، فتناول في اليد بسطها، وشدّها بالغلِّ إلى العنق، وتقليبها، وعضّ الأنامل، وشدّ العضد، وتناول في الوجه الانكباب، والتقليب،

والضحك، وإشارات الرَّأس، وطمس الوجوه، والأخذ بالرَّأس، وغيرها، وكذلك العين، ونظرها، ودورانَها، وحركات الفم بالتبسم، والنفخ، والمشي، والتمطي، وبلوغ القلوب الحناجر، والساق، والأعناق، وما تحمله تلك اللغات من دلالات في الكنَّاية، أو الحقيقة، وهي أوسع من الدراسة السابقة.

٣- دراسة لفظيَّة بعنوان: أدعية استفتاح الصَّلاة دراسة بلاغيَّة، للدكتور: إبراهيم بن عبدالله بن غانم السماعيل، في مجلة العلوم العربية والإسلامية، جامعة القصيم، نشرت في ٢٠١٤/٣/٣١، في العدد الثاني من المجلد السابع، صفحة ٥٥٣ إلى ٦٠٤، وهي بحدود ٥٠ صفحة، استعرض الباحث في التمهيد الأدعية العشرة، ثمَّ خرجها من كتب السنة بعشر صفحات، وجعل بحثه مبحثين، تناول في الأوَّل الفنون البلاغيَّة في أدعية الاستفتاح، وأسراها البلاغيَّة، واستعرض فيه سبعة عشر فنًا بلاغيًا، ذكر في كلِّ فنٍّ ما يناسبه من الظواهر البلاغيَّة؛ كالتعريف بأَل، والإضافة، والضمائر، والجمع والتقييد، والإطلاق، والإطناب، وغيرها؛ محصيًا عدد ورودها في الأدعية، ومحاولًا الكشف عن أسرار ذلك، وفي الثاني تناول مقامات الأدعية، كالثَّناء، والاعتراف بالذنب، وغيرها، وأثرها البلاغي.

٤- لغة الجسد في الشعر العربي قراءة أدبية بلاغيَّة نقدية، للدكتور: محمَّد رفعت زنجير، نشرت في مجلة التاريخ العربي، الصادر عن اتحاد المؤرخين المغاربة، في العدد ٢٩شتاء ٢٠٠٤م، الرباط المغرب،

من صفحة ١١ إلى ٨٠ وهو بحدود ٦٩ صفحة، في المقدمة استعرض الباحث طريقتين للتعبير الأولى: الكلمة، والثانية: لسان الحال، وأنَّ لكلٍّ جارحة أسلوبًا، واستعرض أدلة على تسبيح كلِّ شيء لله، وشهادة الأعضاء يوم القيامة، وأنَّ كلَّ شيء ناطق، وفي التمهيد تناول ألوان الدِّلالة عند الجاحظ، وأطنب، وجعل بحثه خمسة مباحث، تناول فيها إيحاءات الجسد، واستفتحه بدراسة لحديث نبوي مستخرجًا إيحاءاته، ثمَّ دلف إلى لغة الجسد في الشعر منذ العصر الجاهلي، وما بعده، فكشف عن إيحاءات الجسد في الشعر، وأثر التشبيه في ذلك، وأثره على النفس، وحديث الجسد للجسد، ولغة الخداع، وإيحاءات الوجه، ومنه الفم، والخد، والأذن، والشيب، ثمَّ لغة بقية أعضاء الجسد؛ كالصدر والجيد، والخصر، واليد، والأنامل، ثمَّ تناول الحركة؛ كالمشي، والتمايل، وغير ذلك، مبينًا دلالاتها، وختم بحثه بلغة الروائح، واللون، والدموع، جاعلًا ميدانه الشعر في عصوره المختلفة، وخلص إلى أنَّ أكثرها جاء في غرض الغزل، والمدح، والهجاء، باستخدام الصور البيانيَّة، وأنَّ له دلالة تعبير، وأثرًا على النفس.

ومن الدراسات الغربية المستقلة:

١- لغة الجسد، كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم؟ آلن بيز (Allan pease) تعريب: سمير شيخاني، الدار العربية للعلوم، لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، في ٢٠٥ صفحة، وهي مدعومة بالصور لكلِّ هيئة، فيشرح الدِّلالة لهيئات متنوعة، ويشير إلى اختلاف دلالات بعض الهيئات بين الدول؛ تبعًا لاختلاف ثقافاتهم، أو اختلاف أعمارهم، فمثلاً؛ يفرق -بزعمه- بالصور بين صورة الكذب عند الطفل، حيث يضع كلتا يديه على فمه، أمَّا المراهقة فلكذبها تضع يدها اليمنى على الجزء الأيسر من فمها، بخلاف الراشد الَّذي يضع السَّبَّابة بين أنفه وفمه، ثمَّ يستعرض صوراً للقاءات، فيشرح دلالة الوقوف، والمسافة بين الطرفين، وما يخالط ذلك من حركات الأعضاء، وكذلك هيئات الجلوس، وحركات الأرجل، ودلالات اليد والذراع، والإشارة عن بعد بالتَّحيَّة، أو بالمصافحة وتنوع دلالاتها بتنوع صورتها من حيث كيفية القبض، وتدخُّل اليد اليسرى حين المصافحة من عدمه، واختلاف دلالات تلك الهيئات بين شعوب متباينة.

أمَّا هذا البحث الموسوم ب: الدِّلالة المعنويَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة من التَّكبير إلى التَّسليم، دراسة بلاغيَّة، فيختلف عن تلك الدراسات في كونه في الصَّلاة، ويجمع دراسة اللُّغة الجسديَّة، واللَّفظيَّة، ودلالاتها التي لا تحتمل الكنَّاية؛ لكونها دلالات واقعية حقيقة، تدرس دلالة اللُّغة الجسديَّة معزولة عن اللَّفظيَّة، ثمَّ دلالة اللَّفظيَّة معزولة عن الجسديَّة، وتشير إلى ما بينهما من تعانق له أثر في البلاغة، من التَّكبير إلى التَّسليم، كما أنَّها توظف

موضوعات البلاغة في أبوابها الثلاثة بما يناسبها من اللُّغة الجسديَّة، كالطِّباق في رفع السَّبَّابة وخفضها حين التَّشهد، وغير ذلك من المصطلحات البلاغيَّة.

وقد جاءت خطة البحث على النحو التالي:

مقدمة للبحث، فيها مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، ومنهجيتها، وتضمنت بعض الدراسات السابقة، وبينت ما اختلفت في هذه الدراسة عما سبقها- والعلم نسب يصل بعضه بعضًا- وتكونت الدراسة من مبحثين:

المبحث الأوَّل: استعمالات اللُّغة الجسديَّة في بعض المصادر العربية والدراسات الغربية

والمبحث الثاني: الدِّلالات البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقامات الصَّلاة

واشتمل على أربعة مطالب، في كل مطلب موضوعان، كما يلي:

المطلب الأوَّل: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام القيام، وفيه موضوعان:

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام القيام

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام القيام

المطلب الثاني: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه، وفيه موضوعان:

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه

المطلب الثالث: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام السُّجود، وفيه موضوعان:

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام السُّجود

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام السُّجود

المطلب الرابع: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام الجلوس، وفيه موضوعان:

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس، وتحته ثلاث موضوعات:

١- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس بين السجدتين

٢- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأوَّل

٣- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأخير

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس، وتحته ثلاث موضوعات:

١- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس بين السجدتين

٢- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأوَّل

٣- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأخير

ثمَّ ختم البحث بالخاتمة وما اشتملت عليه من نتائج وتوصيات ثمَّ المراجع.

المبحث الأوّل: استعمالات اللُّغة الجسديَّة في بعض المصادر العربية والدراسات الغربية

من المنطق القول بأن اللُّغة الجسديَّة سبقت اللُّغة اللَّفظيَّة ؛ لكون المسميات عينت بالإشارة، ثمَّ سميت، فعُرِفت؛ ولكونها لغة الطفل قبل إبانته اللغوية، تسبق تمتماته وتصاحبها، وهي الوسيلة عند تعذر الاتصال باللُّغة لاختلاف اللغتين، أو لسبب بيْن الطرفين، ومن أول صور ذلك قصة تعليم الغراب ابن آدم القاتل بالإشارة، كما قال تعالى﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: ٣١]، فاجتمع السواد رمزا للذنب، والتعليم بإشارة الجسد للإبانة، والدِّلالة المفهومة من فعل الغراب هي دلالة النُّصبة التي ذكرها الجاحظ(ت٢٥٥)[١]، وإبانة الجسد هنا أبلغ من إبانة اللَّفظ، والعرب فهمت أنَّ الإشارة قول، فنجد في حديث ميمونة –رضي الله عنها –في صفة وضوء النَّبي –ﷺ– قولها: "فَنَاوَلْتُهُ خِرْقَةً، فَقَالَ بِيَدِه هَكَذَا، وَلَمْ يُرِدْهَا"[٢]، فسمت الإشارة قولا، وبيّنت دلالتها، وسُمِّيت السَّبَّابة بهذا الاسم مراعاة لدلالاتها، وإشارة أم عيسى إلى ولدها حملت دلالة معنويَّة عدّها قومها كلامًا فقال الله: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾

(١) الجاحظ بتو سع في دلالة الأ شياء بغير اللُّغة الج سديَّة فذكر منها النُّصبة، ويق صد بها الحال الناطقة بغير اللَّفظ، والمشيرة بغير اليد، فالأ شياء من حولنا ناطقة، فمثلا خلق السماوات والأرض ناطق من حيث الدِّلالة، والحيوانات العجماوات والنباتات وغير ذلك كذلك، فهي في كل صامت، وناطق، فالصامت ناطق من جهة الدِّلالة. ينظر: البيان والتبيين، ص١٢/١.

(٢) صحيح البخاري، باب: من أفرغ بيمينه على شماله في الغسل، رقم: (٢٦٦)، ٦٢/١.

[مريم: ٢٩]، بل صرَّح القرآن بأنَّ الإشارة كلامًا، فقال الله: ﴿ قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾ [آل عمران: ٤١].

فاللُّغة الجسديَّة من الإشارة، وهي من البيان، والبيان واسع المفهوم، متعدِّد الوسائل، أشار ابن المقفع (ت١٤٢هـ) إلى مجيئه بالإشارة عندما سئل؛ ما البلاغة؟ فقال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة"(١).

والجاحظ يرى أنَّ مفهوم البيان متعدِّد الأجناس" فبأيِّ شيء بلغت الأفهام، وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"(٢). غير أنَّه في موطن آخر حصره في خمس: في اللَّفظ، ثمَّ الإشارة، ثمَّ العقد، ثمَّ الخط، ثمَّ الحال(٣) وهي النُّصبة، وخصّ الإشارة في الجوارح ؛كاليد، والطرْف، والحاجب(٤). ثمَّ توسع مفهوم الإشارة عند جملة ممن جاءوا بعده، فأصبح الجسد جزءًا من الإشارة التي اتسعت دلالتها لغيره، فعند قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) هي إشارة اللَّفظ الموجز إلى المعنى الواسع بإيماء، أو لمحة دالة، فهي دلالة لفظيَّة(٥)، وانطلق من هذا المفهوم ابن رشيق (ت٤٦٣هـ) فتوسع ببابها، فالإشارة عنده "في كلِّ نوع من الكلام لمحةٌ دالة، واختصار، وتلويح

(١) البيان والتبيين ١١٤/١.
(٢) المرجع السابق٨٢/١.
(٣) المرجع السابق ١١/١.
(٤) المرجع السابق ١١/١.
(٥) نقد الشعر، ص٥٥.

يعرف مجملاً؛ ومعناه بعيد من ظاهر لفظه"[1]. فتوسَّع وأدخل جميع أبواب البيان فيها وبعضًا من المعاني؛ كالحذف والرمز، والتعريض، وبعضًا من البديع ؛كالتورية[2]. وغير ذلك مما له أبواب مستقلة في البلاغة.

لكنَّ الجاحظ – كما سبق– ومن بعده الرمَّاني(ت٣٨٤هـ) قصرا الإشارة على لغة اليد والرَّأس ونحوهما، وللرمَّاني تقسيم فرَّق فيه بين الإشارة والكلام بقوله:" والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة"[3].

أمَّا ابن أبي الأصبع (ت٦٥٤هـ) فمع توسُّعه فإنَّ الإشارة لديه تكون إشارات لفظيَّة بها سعة معنى، وكذلك إشارات جسديَّة، وضرب مثالًا لدلالة الإشارة الجسديَّة، واختار اليد ودلالتها على المعنى الواسع بحركة مختصرة، تكون دفعة واحدة[4]. وكأنَّه يشير بطرف خفي إلى المقاربة بينها وبين إيجاز القصر، وفي كلِّ الأقوال تدخل اللُّغة الجسديَّة البلاغة؛ لكونها من البيان، الَّذي يبلغ به القصد.

واستعمال الأعضاء للدلالة ورد في البلاغة العربية بباب المجاز بقسميه: الاستعارة، والمجاز المرسل، فمن أمثلة الاستعارة قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]، حيث الدِّلالة على السرعة، ودلالة الضعف، والمجاز المرسل في مثل قوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣]، حيث عبَّر بالرقبة؛

(١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٣٠٢/١.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ٣٠٩/١.

(٣) النكت في إعجاز القرآن، ص١٠٦.

(٤) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص٢٠٠.

لتدلَّ على عتق المملوك، وذلك لوجود قرينة تمنع المعنى الحقيقي لعلاقة، قد تكون المشابهة فتكون استعارة، أو غير المشابهة فتكون مجازا مرسلا [1]، وورد في الكنَّاية حيث يطلق اللَّفظ ويراد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه الحقيقي[2]، كقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ [الكهف: ٤٢]كناية عن عظم الخسارة والحسرة، وتحتمل أن تكون لغة فطرية لليد حال الخسارة.

وهذا البحث يدرس بلاغة الجسد بدلالته على معانٍ حقيقية، فيعبِّر بها وحدها دون اللَّفظ، أو مؤكِّدة للفظ، أو يكون اللَّفظ مؤكِّدا لها، أو معينة له على تمام معناه، وهو فنٌّ بلاغيٌّ أشار إليه بلغاء العرب في عصورهم المتقدمة كما سبق، وذو حضور في الأحكام الشرعية في العبادات كما هو الحال في الصَّلاة، وفي غيرها، وفي المعاملات كما هو الحال في وقوع الطلاق بالإشارة إذا أراد المشير دلالة ذلك، وغير ذلك.

ومن صور انفراد اللُّغة الجسديَّة بالبيان من غير افتقار إلى لفظ حديث ابْنِ عَبَّاسٍ –رضي الله عنه– أَنَّ رَسُولَ اللهِ –ﷺ– قَالَ: "أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ الْجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَالْيَدَيْنِ، وَالرِّجْلَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا نَكْفِتَ الثِّيَابَ، وَلَا الشَّعْرَ"[3]. فلفظة وأشار؛ دالة على أنَّه لم يسمِّ الأعضاء بأسمائها؛ لكون لغة الإشارة لغة تواصليَّة مبينة.

---

(١) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ٣/٣٩٠.

(٢) ينظر: تلخيص المفتاح، ص١١١.

(٣) صحيح مسلم، باب: أعضاء السُّجود، والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرَّأس في الصَّلاة، برقم:(٤٩٠)، ١/٣٥٤.

وانفردت الإشارة أيضا بالتَّعبير عن مدلولها في حديث: عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- زَوْجِ النَّبِي -ﷺ- أَنَّها قَالَتْ: "صَلَّى رَسُولُ اللهِ -ﷺ- فِي بَيْتِهِ وَهُوَ شَاكٍ جَالِسًا، وَصَلَّى وَرَاءَهُ قَوْمٌ قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنِ اجْلِسُوا" (١) فالإشارة المحكية في قولها: "فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ أَنِ اجْلِسُوا" لغة جسديَّة استعملها -ﷺ- لكون الكلام من مبطلات الصَّلاة، فطابقت الإشارة مقتضى الحال، وهي دالة على مدلولها لمشاهد الحال الَّذي علم سياقها، لذلك هدتنا أم المؤمنين -رضي الله عنها - بروايتها إلى استحضار المقام، والسِّياق؛ لتبين أنَّ مدلولها؛ "أَنِ اجْلِسُوا"؛ اقتداء بإمامكم، وهذه هي الحال المشاهدة التي ذكرها ابن جني (ت٣٩٢هـ)(٢)، ودالة على المرادف اللَّفظي للإشارة التي فسرتها أم المؤمنين، فبلغت الإشارة المراد من غير افتقار إلى كلام لحظة حدوثها، وقد أشار الجاحظ لدلالة الإشارة بقوله: "وما أكثر ما تنوب عن اللَّفظ، وما تغني عن الخط"(٣).

ومن صور إعانة اللُّغة الجسديَّة الكلامَ على تمام معناه ما روي عن أَبَي مَسْعُود -رضي الله عنه- حيث قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- يَقُولُ: "نَزَلَ جِبْرِيلُ فَأَمَّنِي، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ،

(١) صحيح البخاري، باب: الإشارة في الصَّلاة، رقم: (١٢٣٦)، ٢/٧٠.

(٢) ينظر: الخصائص ١/٢٦٥ و٢٨٨، والحال المشاهدة تشمل ما يرى تعبيرات الوجه أو أعضاء الجسد أثناء الكلام، وما يسمع من نبرة الصوت حين النطق فكلها أحوال مشاهدة أثناء الكلام وقد تغيب عند روايته إن لم تفسر.

(٣) البيان والتبيين ١/٨٣.

ثمَّ صَلَّيْتُ مَعَهُ" يَحْسُبُ بِأَصَابِعِهِ خَمْسَ صَلَوَاتٍ[1]، فحسابه بأصابعه مع التلفظ بالمعطوفات ذات اللَّفظ الواحد؛ اشتراك بين اللَّفظ، والجسد؛ والإشارة الجسديَّة بليغة؛ لكونها تؤكد عدد المعطوفات، وتمنع اللَّبس في العدد، فبلغت غرضها في التواصل والإبانة، فهي من النَّبي -ﷺ- لغة جسديَّة لفظيَّة أكَّدت العدد، ومن الراوي -رضي الله عنه- محاكاة تفسر الحال المشاهدة لمن لم يرها، فذيلها بالمراد لفظًا؛ لأهمية دلالة اللُّغة الجسديَّة على المعنى.

وكقوله-ﷺ-: أنا وكافل اليتيم كهاتين، فانتقل -ﷺ- إلى اللُّغة الجسديَّة لتمام دلالة اللَّفظ؛ فلفت الانتباه، ليستقرَّ المعنى في ذهن المخاطب أيما استقرار؛ لما في المحسوس من أثر في المعنى، وإيجاز ذي كثافة معنويَّة، فنقل الكلام من المسموع المعنوي إلى المحسوس المشاهد بالسَّبَّابة والوسطى وراءه مدلولات كثيرة منها: التلازم، والتقارب، والالتصاق، مع كون الوسطى أطول، ولنبيِّنا -ﷺ- العطاء الأوفى.

وقد يفسر اللَّفظ اللُّغة الجسديَّة التي سبقته؛ كون دلالة حركة الجسد دلالة معنويَّة نفسية، لا تظهر لكلِّ أحد، كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ -رضي الله عنه - : "أَنَّه انْتَهَى إِلَى النَّبِي -ﷺ- وَهُوَ رَاكِعٌ، فَرَكَعَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى الصَّف، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ -ﷺ- فَقَالَ: زَادَكَ اللهُ حِرْصًا وَلَا تَعُدْ" [2].

(١) صحيح مسلم، باب: أوقات الصَّلوات الخمس، رقم: (٦١٠)، ١/٤٢٥.

(٢) صحيح البخاري، باب: إذا ركع دون الصَّف، رقم: (٧٨٣)، ١/١٥٦.

فركوعه قبل دخوله في الصَّف لغة جسديَّة فسرها النَّبي -ﷺ- بالحرص، والحرص معنى وجدانيٌّ خفيٌّ، فدعا له -ﷺ- وأرشده إلى الأمثل.

ولغة الأعضاء الجسديَّة تتنوع بتنوع مقاماتها وهيئاتها، فإشارات العين مثلا، لها مدلولات متباينة يكشفها السِّياق، والحال، والقرائن الحافة؛ فمنها ما هو من جنس المشترك الجسدي، ففي القرآن نظرة عين دلت على لغة ذات معنى؛ كالازدراء مثلا، فالأعين تزدري، كما قال تعالى: ﴿ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ۖ﴾ [هود: ٣١] ، والأعين تخون، وتضاد دلالة اللسان الَّذي أخفى حقيقةً في الصدور، كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ، ودوران حدقة العين لغة قد تدل على الاضطراب النابع من الخوف، كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ [الأحزاب: ١٩] ، وقصر الطرْف لغة تدل على العفاف، فامتُدحت الحور بقوله سبحاته وتعالى: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾[الرحمن: ٥٦] ، وثباتها كما في الصَّلاة لغة ثبات وإدراك.

وقد استشهد الجاحظ للُّغة العيون ودلالتها بقول أبي دؤاد ابن حريز الإياديّ(ت٥٥٠م) [(١)]:

يرْمُونَ بِالخُطَبِ الطِّوالِ وتَارَةً وحْيِ المُلاحِظِ خِيفَةَ الرُّقَبَاءِ

(١) اختلف في زمن وفاته كما اختلف في زمن ولادته، وهذا التأريخ هو الأقرب من خلال الأحداث التي عاشـــها، ينظر: ديوان أبي دؤاد الإيادي، ص٢٢، ولم أعثر على البيت في الديوان لكنَّه معزوٌّ له في البيان والتبيين١/٦٠ و١/١٤٣.

وتنوعت دلالة لغة العين في قول عمر بن أبي ربيعة(ت٩٣هـ)[١]:

أَشَارَتْ بِطَرْفِ العَيْنِ خِيفَةَ أَهْلِهَا إِشَارَةَ مَحْزُوْنٍ ولَمْ تَتَكَلَّمِ
فَأَيْقَنْتُ أَنَّ الطَّرْفَ قَدْ قَالَ مَرْحَبًا وَأَهْلًا وسَهْلاً بِالحَبِيْبِ المُتَيَّمِ

ولاختلاف معاني حركات العين اختلفت ألفاظ المسند الفعلي، فذكر الثعالبي (ت٤٢٩هـ) عن العرب قولهم: رَمَقه؛ لمن نظر إلى الشيء بمجامع عينيه، وحَدَجَه؛ إذا نظر بحدَّة، ولمحَه؛ إذا نظر بعجلة، وشَفَنه؛ إذا نظر إلى أحد؛ متعجبا منه، أو كارها، ونظر إليه شزْرا؛ إذا كانت النَّظرة لعداوة، ونظر المُسْتَثبت يقال له: توضَّحه، وإذا غاب سواد العينين من الفزع قيل: برَّق بصرُه، ويقال: حمَّج؛ إذا فتح عينَ مُفزَّع أو مُهدَّد، فإنْ حَدّق و لم تطرف عيناه قيل: شَخَص، وغير ذلك[٢].

بل أورد الثعالبي تمييزًا بين أفعال الجوارح فذكر أنَّه يقال: "أشار بيده، أومأ برأسه، غمز بحاجبه، رمز بشفته، لمع بثوبه، ألاح بكمِّه"[٣]. ولعل الإشارة تقال لليد، والحاجب كثيرا، ووردت للعين كما في البيت السابق، وعلى ذلك فليست خاصة باليد كما ذكر الثعالبي.

وهذه الإشارة جمعت البيان والإيجاز؛ لذلك قال ابن أبي الأصبع: "فإنَّ المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبِّر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جداً، ولا بدَّ في الإشارة من اعتبار صحة الدِّلالة وحسن البيان مع

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة ٨٣/١.
(٢) ينظر: فقه اللُّغة وسر العربية، ص٨٦.
(٣) المرجع السابق، ص١٣٣.

الاختصار؛ لأنَّ المشير بيده إن لم يفهم المشار إليه معناه بأسهل ما يكون، فإشارته معدودة من العبث" [1].

ولم تكن دراسة اللُّغة الجسديَّة مقصورة على العلماء العرب، بل في الدراسات الغربية ظهر منهج من مناهج ما بعد البنيوية يهتم باللُّغة الجسديَّة واللون والشكل، وتتعدد أسماؤه بتعدد مدارسه مع ما بينها من تشابه، فظهرت السيمولوجيا (علم العلامات) التي ترجع إلى مدرسة جنيف وزعيمها فرديناند دو سوسير (de SaussureFerdinand) (ت١٣٣١هـ)، والسيموطيقيا وزعيمها تشارلز ساندرس بيرس الأمريكي (Charles Sanders Pirce) (ت١٣٣٢هـ) [2]، كذلك السيمائيَّة التي تعني علم الإشارات أو العلامات، وكلُّها متقاربة[3].

والإشارات أو العلامات التي تدرسها تلك المناهج قد تكون لغة منطوقة أو غير منطوقة، وقد تكون صوتية أو حرفيَّة، أو نحويَّة أو مجازيَّة أو خطيَّة، فالسيمائيون مثلا؛ يرون أنَّ كلَّ شيء له لغة، قد يدرك بالبصر، أو السمع، أو الذوق، أو الشم، أو غير ذلك من منافذ الإدراك[4]، ويدرسون علم الحركة الجسمية تحت عنوان العلامات الإيمائيَّة، فالصُّورة واللُّون والشَّكل والهيْأة كلهُّا دالٌّ له مدلول[5].

---

(١) تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص٢٠٠.

(٢) ينظر: أسس السيمائية، ص٢٧ –٣٠.

(٣) ينظر: السيميائيات أو نظرية العلامات، ص٢٠.

(٤) ينظر: ماهي السيمولوجيا؟ ص ٥ وما بعدها.

(٥) ينظر: المرجع السابق، ص٢٧.

فهذه الدراسات، وما سبقها من تفسيرات لإشارات ذكرها العلماء، تفتح للباحثين أفقًا أوسع؛ لخوض هذا الميدان؛ ليعطوا اللُّغة الجسديَّة شيئًا من حقوقها في البحث والدراسة، ولعلَّ هذا الأمر دعا هذه الدراسة أن تكون، فتتخذ الصَّلاة وما اشتملت عليه من لغة جسديَّة ولفظيَّة ميدانًا تفتِّش في إشاراته وعباراته، وتستنبط مراميه، ولذيذ معانيه؛ لتبرز ما فيهما من أسرار، وما بينهما من تلاحم، وما وراء ذلك من دلالة تحمل غرضًا بلاغيًّا، معتمدة على الموروث العربي، والدراسات الحديثة، التي تتسلل إلى الجسد ولغته؛ لتبين دلالاته التَّواصليَّة، وما يستوحيه المصلِّي والمتلقي والمشاهد من وراء حركة جسديَّة، ولفظة ثرية، ذات عمق معنوي، وتلاحم بنيوي، فكلٌّ حركة في قيام، وركوع، ورفع، وسجود، وجلوس لغة جسديَّة، تمازجها لغة لفظيَّة تتمثل في تكبير، وتحميد، وتسبيح، وثناء، ودعاء، وكلاهما يحملان عبادة فعليَّة، وأخرى قوليَّة، صامتة وصائتة، يتلاحمان فيظهران الدِّين قولًا وعملًا واعتقادًا، ويتجاوز الأمر ذلك؛ لتكون لغة تواصليَّة يفهمها المتلقي على اختلاف أحواله، ويدركها المأموم عن إمامه؛ فيتابعه، والإمام عن المأموم؛ فيتنبه لتنبيهاته، واللُّغة الجسديَّة فيها يقتدي بها الأصمُّ، ويسمع لفظها الأعمى، ويجمعهما الصحيح، فأصبحت اللُّغة الجسديَّة لغة تواصليَّة مؤثِّرة.

إضافة لما سبق فإنْ اقتران اللَّفظ بالصُّورة الحركيِّة للجسد يرسِّخ المعاني في ذهن المصلِّي، فيعينه على الخشوع، وإدراك ما يعمل، وما يتلفظ به من عبادات، ولا نجد عبادة يقترن لصحتها اللُّغة الجسديَّة واللُّغة اللَّفظيَّة كما هو الحال في الصَّلاة، التي جاءت أفعالها وأقوالها توقيفية، لا تصحُّ بإخلالها من قادر.

المبحث الثاني: الدِّلالات البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقامات الصَّلاة

المطلب الأوَّل: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام القيام

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام القيام

أوَّل لغة جسديَّة تطالعنا في الصَّلاة القيام، حيث يشير إلى اعتدال القامة والثَّبات والاستواء، وفيه لغات جسديَّة، منها رفع اليدين للتكبير، بعد استقبال القبلة، ثمَّ وضع اليدين على الصدر، ثمَّ السُّكوت بين التَّكبير والقراءة وبين آيات الفاتحة، ثمَّ رفع اليدين للركوع، ثمَّ النَّظر إلى موضع السُّجود، وهذه لغات لها أدلَّتها ودلالاتها، فالقيام مختلف الدِّلالات، يفهمه مشاهد الحال بحسب مقتضى الحال، فيكون لغرض التَّحيَّة والتكريم في ثقافات أمم، أو لتعظيم البشر بما يهيئهم للكِبْر؛ ولذلك نهى النَّبي -ﷺ- عنه بقوله:" مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"(١)، أو لحاجة، كالمشي، أو لاستيضاح البعيد، أو المختفي وراء حائل، أو للخطبة، أو للغضب، وغير ذلك، لكنَّ القيام في الصَّلاة بشير إلى دلالة القنوت لقوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، فدلالته العبودية بثبات واعتدال، واستقامة بلا ميل ولا انحراف؛ ولتحقيقها نهي عن اللُّغة الجسديَّة المضادة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي الله عنه– أنَّ النَّبي -ﷺ- قَالَ: "إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ

(١) مسند أحمد، حديث معاوية بن أبي سفيان، رقم: (١٦٩١٨)، ١٢١/٢٨، وقال المحققون: إسناده صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين.

فَأَتمُّوا"[1]. فاللُّغة الجسديَّة في لفظتي: فامشوا، ولا تسرعوا؛ تشير إلى السكينة، والوقار، اللذين ينبغي أن يتَّسم بهما العابد، كما في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾[الفرقان: ٦٣] ، ونهي عن اللُّغة الجسديَّة المضادة جسديًّا وهي الإسراع؛ لكونها تشير إلى ما يضاد السكينة، والوقار، ويجلب الكبر.

والقيام خطاب للمتلقي بابتداء الصَّلاة؛ ليسارع القريب والبعيد، لأنَّ "مبْلغ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت"[2] فالإشارة أبعد بلاغًا من الصوت، وذلك أنَّ العين ترى الإشارة من مكان لا يبلغه الصوت؛ أمَّا لبعدٍ، أو لارتفاع، أو لتأثير هواء معاكس للصوت، أو لحائل زجاجيٍّ، أو غير ذلك.

وتسمى الصَّلاة قيامًا على سبيل المجاز المرسل لعلاقة الجزئية؛ لأنَّ القيام أطول، ويعبِّر عن الصَّلاة بالسُّجود، والرُّكوع؛ لعلاقة الجزئية؛ ولشرف الركنين، وقرآن الفجر اسم لصلاة الفجر؛ لطول القراءة فيها من باب إطلاق الحالِّ وإرادة المحلِّ، وسمِّيت الفاتحة صلاة كما في حديث: "قَسَمْتُ الصَّلاة بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ "[3]؛ لعلاقة إطلاق المحلِّ الصَّلاة، على الحالِّ الفاتحة؛ لبيان مكانتها، ومثل ذلك المسجد سمي مسجدًا، وكلُّ ذلك من باب المجاز المرسل.

---

(١) صحيح البخاري، باب: لا يسعى إلى الصَّلاة وليأت بالسكينة والوقار، رقم: (٦٣٦)، ١٢٩/١.

(٢) البيان والتبيين، ص٨٤/١.

(٣) صحيح مسلم، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، رقم: (٣٩٥)، ٢٩٦/١.

واستقبال بيت الله لغة جسديَّة تشير إلى استقبال الله جلّ شأنه، فالمعنى وراء هذه اللُّغة هو استحضار عظمة ربِّ البيت في القلب والذهن؛ ليثمر الخشوع، فكان الالتفات لغير حاجة سببًا لانصراف الله عن الملتفت، ويفسر هذه اللُّغة الجسديَّة حديث ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه- أن النَّبي -ﷺ- قال: "إنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاة فإنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ"(١)، لكنَّ المصلِّي إذا أحدث ينصرف واضعًا يده على أنفه على سبيل التورية، والتورية من فنون البديع، وهي في هذا المقام لغة دالة على الحياء الَّذي هدى إليه قوله -ﷺ-: "إذا أَحْدَثَ أحدُكُم في صلاته فَلْيَأْخُذْ بأنفه، ثمَّ لينصرف"(٢)، وليست من قبيل الكذب، فقد ذكر الخطابيُّ (ت٣٨٨هـ) أنَّ وضع اليد على الأنف من باب السِّتر والحياء لإخفاء القبيح، فأظهر بوضع يده على أنفه أنَّ به رعافًا(٣)، فكانت التورية في هذين المعنيين القريب غير المقصود، والبعيد المقصود.

واليدان لهما دلالات معنويَّة ورد بعضها في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ [الكهف: ٤٢] ، للدلالة على الحسرة، وذلك لأنَّهما الجارحتان العاملتان، وفي الدُّعاء نرفع اليدين وأكفهما إلى الوجه إظهارًا للحاجة، واستعدادًا للعطاء، ومن الطِّباق لتلك الصُّورة الجسديَّة ما يكون عند التَّكبير، حيث نرفع اليدين، وأكفهما إلى القبلة؛ إشارة إلى الاستسلام، ولرفع اليدين الدال على الاستسلام أصل في الحروب ونحوها،

(١) صحيح البخاري، باب: الالتفات في الصَّلاة، رقم: (٧٥٣) ١/١٥٠.

(٢) سنن أبي داود، باب: استئذان المُحْدِث الإمام، رقم: (١١١٤)، ٢/٣٣١، وقال المحققان: إسناده صحيح.

(٣) ينظر: معالم السنن، ص١/٢٤٨-٢٤٩.

وإذا كان للمشهد الحركي تأثير ورسوخ فإنَّ رسوخه إذا اقترن بلفظ يناسبه أشدُّ؛ لكون أحدهما يؤكِّد الآخر، والمقام في الصَّلاة يقتضي ذلك، حيث لم ترفع اليدين للتكبير إلا في مقام القيام؛ لكونه المقام الأنسب للاستسلام والرهبة، فموافقة اللُّغة اللَّفظيَّة اللُّغة الجسديَّة وضحت الصور والهيأة، وأصابت المعنى والدِّلالة، ففي مقام الصَّلاة نجد رفع اليدين يقترن مع لفظ التَّكبير ويؤكِّد أحدهما الآخر على صور ثلاثة:

الصُّورة الأولى: الرَّفع مع التَّكبير: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْد الله، عَنْ أَبيه-رضي الله عنهم-: أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- "كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْه حَذْوَ مَنْكِبَيْه، إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاة، وَإِذَا كَبَّرَ لِلرُّكُوعِ، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكوع رَفَعَهُمَا كَذَلِكَ أَيْضًا، وَقَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ. وَكَانَ لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي السُّجود." (١).

الصُّورة الثَّانية: الرَّفع ثمَّ التَّكبير: فعن ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه- قَالَ: "كَانَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إِذَا قَامَ لِلصَّلَاةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حتَّى تَكُونَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثمَّ كَبَّر..."(٢).

(١) صحيح البخاري، باب: رفع اليدين في التَّكبيرة الأولى مع الافتتاح سواء، رقم: (٧٣٥)، ١٤٨/١.

(٢) صحيح مسلم، باب: استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، والرُّكوع، وفي الرَّفع من الرُّكوع، وأنه لا يفعله إذا رفع من السُّجود، رقم: (٣٩٠)، ٢٩٢/١.

الصُّورة الثَّالثة: بعد التَّكبير: عَنْ أَبِي قِلَابَةَ، أَنَّه رَأَى مَالِكَ بْنَ الْحُوَيْرِثِ -رضي الله عنه- "إِذَا صَلَّى كَبَّرَ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ،...وَحَدَّثَ "أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- كَانَ يَفْعَلُ هَكَذَا"(١).

ومواطن رفع اليدين أربعة، كما روي عن ابْنِ عُمَرَ -رضي الله عنه- أَنَّه "كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ كَبَّرَ وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا رَكَعَ رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَالَ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ. رَفَعَ يَدَيْهِ، وَإِذَا قَامَ مِنَ الرَّكْعَتَيْنِ رَفَعَ يَدَيْهِ"(٢). وهذه المواطن الأربعة لرفع اليدين مع التَّكبير كلُّها في حال القيام، والقيام أكمل حالات المصلِّي لحديث: "صَلَاةُ الرَّجُلِ قاعدًا نِصْفُ الصَّلَاةِ"(٣)، ولتبجيل القرآن يقرأ في الصَّلاة حال القيام، قال -ﷺ- : "أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ راكعًا أَوْ ساجدًا"(٤)، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، فالرُّكوع مقام للتعظيم، والسُّجود مقام للدُّعاء، ولكمال القيام كان رفع اليدين في مقامه، ورفع اليدين حذو المنكبين في الصَّلاة تتعانق فيه اللُّغة الجسديَّة مع التَّعبير اللَّفظي: الله أكبر؛ لتجتمع الجوارح لفظًا وفعلًا واعتقادًا على الإخلاص لله، والاستسلام المؤكَّد، وتلك صورة من توكيد اللَّفظ للفعل، أو الفعل للَّفظ، فالأوَّل يؤكِّد الثَّاني، سواءٌ أتقدم رفع اليدين على

(١) المرجع السابق، باب: استحباب رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، والرُّكوع، وفي الرَّفع من الرُّكوع، وأنه لا يفعله إذا رفع من السُّجود، رقم: (٣٩١)، ٢٩٣/١.

(٢) صحيح البخاري، باب: رفع اليدين إذا قام من الركعتين، رقم: (٧٣٩)، ١٤٨/١.

(٣) صحيح مسلم، باب: جواز النافلة قائمًا وقاعدًا، وفعل بعض الرَّكعة قائمًا وبعضها قاعدًا، رقم: (٧٣٥) ٥٠٧/١

(٤) المرجع السابق، باب: النهي عن قراءة القرآن في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٤٧٩) ٣٤٨/١.

اللَّفظ، أم توافقا معًا، أم تقدم اللَّفظ على الرَّفع، فبجميع الصُّور يكون توكيد أحدهما للآخر، وهذه الصُّورة داخلة في قول الجاحظ:" والإشارة واللَّفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه"(١).

والتَّكبير المصاحب رفع اليدين حال القيام أظهر الملفوظ بصورة المحسوس، فمقام القيام جمع لغة لفظيَّة وجسديَّة تتعاضدان لتؤكدا المعنى بأسلوبين: مسموع، ومرئي، فالتَّلفظ بالله أكبر، ورفع اليدين، يوجز لنا أنَّ الدِّين قول وعمل واعتقاد، "وحسن الإشارة باليد والرَّأس، من تمام حسن البيان باللِّسان"(٢). وهذا أسلوب حجاجي بالغ الأثر والتأثير. وإن كان الكلام يؤكِّد بعضه بعضًا، فكذلك الجسد يؤكِّد بعضه بعضًا، ويؤكِّد الجسد اللَّفظ واللَّفظ الجسد، مع ما تحمله اللُّغة الجسديَّة الواحدة من معانٍ كثيرة وراء إيجازها.

ووضْع اليد اليمنى على اليسرى على الصَّدر كما بُوِّب في صحيح الإمام مسلم (ت٢٦١هـ) لرواية وائل بن حُجْر -رضي الله عنه - في وصف صلاة النَّبي -ﷺ- حيث قال: "ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى"(٣) فأشارت إلى دلالة أخرى للغة اليدين، حيث سكون الجارحتين عن العمل الدُّنيوي وقبض إحداهما الأخرى، وبلاغته أنَّ دليل ثبات القلب ثبات جوارحه للصَّلاة، وتفرُّغها عن كلِّ ما سواها؛ لاستحضار عظمة العبادة والخشوع

(١) البيان والتبيين ٨٣/١.

(٢) المرجع السابق ٨٤/١.

(٣) صحيح مسلم، باب: وضع يده اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام تحت صدره فوق سرته، ووضعهما في السُّجود على الأرض حذو منكبيه، رقم: (٤٠١)، ٣٠١/١.

فيها، وهي في غير الصَّلاة قد تحمل دلالات مختلفة منها التَّفكر، ومنها الحيرة، وغير ذلك مما يكشفه السِّياق، ومن الطِّباق الجسدي لذلك كثرة الحركة باليدين والعبث بهما، فهي لغة تشير إلى انشغال القلب عن الصَّلاة.

ومكان نظر العين في الصَّلاة فيه أقوال[1]: الأوَّل: أنَّ مكانه موطن السُّجود وهو رأي الجمهور، والآخر: إلى السَّبَّابة حين التَّشهد – وسيدرس في موطنه في الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في الجلوس للتَّشهد الأوَّل– وقد يكون إلى الإمام للاقتداء، أو إلى القبلة، أو إلى العدوِّ وقت الحرب لتغليب المصلحة، والنجاة من الضرر، فناسب الفعل مقتضى الحال، أمَّا النَّظر إلى موطن السُّجود في الصَّلاة فهو لغة جسديَّة دالة على حفظ القلب فيما هو فيه من عبادة؛ لأنَّ البصر منفذ من منافذ القلب، وثباته لغة تشير إلى الإدراك، فإذا تشتت النَّظر تشتت القلب، فذهب استحضاره وخشوعه، ومن صور الطِّباق الجسدي رفع البصر إلى السَّماء فنهي عنه لأنَّه يشير إلى فقدان الخشوع.

والسُّكوت بين التَّكبير والقراءة كان مثار سؤال الصحابيِّ الجليل أبي هريرة –رضي الله عنه– لما يحمله من دلالات، فقال للنَّبي –ﷺ–: أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكبير وَالْقِرَاءَة، مَا تَقُولُ؟ قَالَ: " أَقُولُ: اللهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ... "[2] الحديث، فالسَّكوت لغة صامتة ذات دلالة أثارت سؤال

(١) ينظر: الجامع في أحكام صفة الصَّلاة من الخروج إليها حتَّى الانصراف منها، ص٤٨٦–٥١١.

(٢) صحيح مسلم، باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، رقم:(٥٩٨) ٤١٩/١.

السائل، فكان الجواب مستقرًا في ذهن السامع حقَّ الاستقرار؛ لما كان لديه من انتظار وشغف، وقد سئل ابن المقفع عن البلاغة فقال: البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت..."[1]. لذلك ولّد ذلك عند أبي هريرة –رضي الله عنه– الانتظار فكان ينتظر هذه السَّكتة من النَّبي –ﷺ– إذا قام إلى الرَّكعة الثَّانية فلم تكن، فقال في الرَّكعة الثَّانية: "اسْتَفْتَحَ الْقِرَاءَةَ بِـــ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَمْ يَسْكُتْ"[2].

وإذا كان تعانق الصُّورة الجسديَّة مع اللُّغة اللَّفظيَّة يولّد بلاغة من جنسين، فإنَّ هناك مقامات انفردت اللُّغة الجسديَّة بمعانيها في الصَّلاة على سبيل التشبيه الخفي الَّذي يحتاج وجهه إلى تأمل، ويتبين عند المقارنة، ليبرز وراءه دلالات عظيمة يصلح بها الدِّين والدُّنيا.

فالإمامة في الصَّلاة هي الإمامة الصُّغرى، والإمامة في الدَّولة هي الإمامة الكبرى، وبينهما صور من التَّشبيه نستطيع في المقارنة أن نستلَّ منها وجوه شبه في الصَّلاة صالحة للإمامة الكبرى، ودالة على أنَّ سلوك الصَّلاة ينبثق منها؛ ليشمل جميع صنوف الحياة، ومن صور التَّشبيه بينهما ما يلي:

١– إمام الصَّلاة كإمام الدَّولة، يحرِص على تسوية الصُّفوف بلا طبقيَّة أو تمايز[3]، وكذلك إمام الدَّولة يحرص على اتِّحاد صفِّ

(١) البيان والتبيين، ١/١١٤.

(٢) صحيح مسلم، باب: إذا نهض من الرَّكعة الثانية، رقم: (٥٩٩) ١/٤١٩.

(٣) صحيح البخاري، باب: إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم في الصف، رقم: (٧٢٥)، ١/١٤٦.

المسلمين، والعدل بينهم، والقضاء على أسباب الفرقة، فوجه الشَّبه بينهما الإمامة في كلٍّ.

٢- إمام الصَّلاة يليه أولو الأحلام والنُّهى[١]، فهو كإمام الدَّولة يليه أهل الرأي والشُّورى الَّذين يصلح بهم شأن الدَّولة، فوجه الشَّبه بينهما تقريب ذوي المكانة والصلاح.

٣- إمام الصَّلاة يسدُّ الفرجات بالتراصِّ والتَّلاحم "كَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ، وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ" [٢]، وكذلك يراعي أحوال المصلِّين، فهو كإمام الدَّولة يسدُّ حاجات الناس، ويحيي تكافلهم الاجتماعي، فيسدُّ الفرج؛ لتبقى اللُّحمة بينهم، ويبقوا كالبنيان المرصوص، يشدُّ بعضه بعضًا، وكالجسد الواحد، فوجه الشَّبه بينهما التَّلاحم والتَّراحم.

٤- المنفرد خلف الصَّلاة قد تبطل أو تكره صلاته على اختلاف، كما أنَّه يحرم على أفراد الأمَّة اعتزال جماعة المسلمين، والخروج عن إمامها، فوجه الشَّبه بينهما اتحاد الصَّف ونبذ الفرقة في كلٍّ.

---

(١) صحيح مسلم، باب: الأمر بالسكون في الصَّلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السَّلام، وإتمام الصُّفوف الأوَّل والتراص فيها والأمر بالاجتماع، رقم:(٤٣٣) ٣٣٢/١.

(٢) صحيح البخاري، باب: إلزاق المنكب بالمنكب والقدم بالقدم في الصَّف، رقم: (٧٢٥)، ١٤٦/١.

٥- الإمام في الصَّلاة يتابَع فلا يُسبق، بل قد تتغير صفة صلاة المسبوق متابعةً لإمامه، وإن سها عُدِّل باللِّين، وكذلك إمام الدَّولة له الطاعة بالمعروف، والنُّصح باللِّين، فوجه الشَّبه بينهما المتابعة لكلٍّ.

٦- الإمام في الصَّلاة ضامن ويتحمَّل عن المأموم، فهو كإمام الدَّولة ولي أمر المسلمين، ووجه الشَّبه بينهما الضمان.

٧- الإمام في الصَّلاة يستخلف غيره لعذر أنابه، كوليِّ الأمر يستخلف في الدَّولة من يلي أمرها حال غيابه، فوجه الشَّبه بينهما الاستخلاف.

ولا أدلَّ على هذه المشابهة من أنَّ أحد أسباب تقديم أبي بكر -رضي الله عنه - للخلافة أنَّ النَّبي -ﷺ- أنابه لإمامة النَّاس في الصَّلاة أيام مرضه، وفي صحَّته لحاجة، ولا يناب إلا من تقدم لفضله واستقامته، فعَنْ أَبِي مُوسَى- رضي الله عنه- قَالَ: "مَرِضَ النَّبِي -ﷺ- فَاشْتَدَّ مَرَضُهُ فَقَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَنَّه رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ: مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ. فَعَادَتْ، فَقَالَ: مُرِي أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ، فَإِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ. فَأَتَاهُ الرَّسُولُ، فَصَلَّى بِالنَّاسِ فِي حَيَاةِ النَّبِي ﷺ"(١). فأشارت اللُّغة الجسديَّة والتكرار اللَّفظي المؤكِّد إلى أنَّ تمكين النَّبي -ﷺ- أبا بكر -رضي الله عنه- من إمامة النَّاس في الإمامة الصُّغرى كانت توطئة لأحقيَّته بالإمامة الكبرى.

(١) صحيح البخاري، باب: أهل العلم والفضل أحق الناس بالإمامة، رقم: (٦٧٨)، ١٣٦/١.

ولقد أشار ابن بطال (ت٤٤٩هـ) حين شرح الحديث إلى أحقيَّة أبي بكر بالخلافة فقال: "والصَّلاة لا يقوم بها إلا الدعاة، ومن إليه السِّياسة وعقد الخلافة، كصلاة الجمع، والأعياد، التي لا يصلح القيام بها إلا لمن إليه القيام بأمر الأمَّة وسياسة الرعيّة"(١).

فالصَّلاة هي الحياة، تستقيم بسلوكياتها الحياة الدينيَّة والدنيويَّة اجتماعيًّا واقتصاديًّا وسياسيًّا، فالسُّلوك المقطوف من ثمَّار الصَّلاة ينبغي أن يظهر في المجتمع في جميع مستوياته، وهذا ما قرره القرآن الكريم الَّذي أصبحت الصَّلاة أحد أوعيته، فمن يقرأ سورة الماعون يجد أنَّها حذرت ممن يدعّ اليتيم، ولا يحضّ على طعام المسكين، واختتمت بمن يمنع الماعون المحتاجين، وتوسطتها آية الوعيد بمن سها عن الصَّلاة، وكأنَّ ما سبق وتلا نتيجة ذلك السهو عن الصَّلاة.

ومن اللغات الجسديَّة وقوف الواحد والمرأة في الصَّلاة بالنسبة للإمام، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك -رضي الله عنه-: "أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- صَلَّى بِهِ وَبِأُمِّه، أَوْ خَالَتِه"، قَالَ: "فَأَقَامَنِي عَنْ يَمِينِه، وَأَقَامَ الْمَرْأَةَ خَلْفَنَا"(٢). فاللُّغة الجسديَّة تتمثل في وقوف المأموم الواحد عن يمين الإمام، ووقوف المرأة خلف الإمام، وهذه اللُّغة الجسديَّة دالة، ولها مدلولها من غير عبارة صريحة، فوقوف المأموم عن يمين الإمام يشير إلى الاهتمام بالصَّفِّ الواحد والجماعة واللُّحمة

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٣٠٠/٢.

(٢) صحيح مسلم، باب: جواز الجماعة في النافلة، والصَّلاة على حصير وخمرة وثوب، وغيرها من الطاهرات، رقم: (٦٦٠)، ٤٥٨/١.

والتَّكاتف، مع الاحتفاظ بالقدوة، ووقوف المرأة خلف الإمام مناسب لمقتضى حالها حيث يشير إلى الحرص على المرأة وسترها، وحفظ المصلِّين من الفتنة، وفرصة للمرأة أن ترى المصلِّين وتتعلم الصَّلاة؛ لكون الجماعة غير واجبة في حقِّها، فهي لا تحضرها إلا نادراً.

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام القيام

القيام وإن كان لغة جسديَّة سبق ذكر بعض من دلالاته، إلا أنَّه أيضا وعاء في مقامات مختلفة للُّغة لفظيَّة تعبدية، فالتَّكبير ناسب القيام؛ والقيام موطن من مواطن الكبر والخيلاء، وأكبر ما يكون الإنسان وهو قائم، فجاءت جملة الله أكبر، بلفظها الموجز إيجاز حذف، وبمفهومها الواسع، و"الحذف للاتساع"[1] فلم يَذكر المفضلَّ عليه؛ لتتجاوز حجم الإنسان وما على أرضه، وما أحاط بها، فالله أكبر من كلِّ شيء خطر بالبال أو لم يخطر، فحذف من التَّركيب كلَّ كبير، ومن هو دونه، وبقي الأكبر وحده جلَّ شأنه، فاجتمع مع الاستسلام الجسديِّ الاستسلام اللَّفظيُّ، فاجتمع مع اتساع المعنى تأكيده جسديًا، فأينما ذهبت النفس في تقدير المحذوف فالله أكبر منه، وكلُّ ما سوى الله مخلوق، والله أكبر مما كان، وما يكون، وما لم يكن، وهذا الاتساع مما جعل عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) يشيد بالحذف ودقته، ولطافته،

(١) الخصائص ٢٩١/١.

وسحره، فاختصر ذلك بقوله: "وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِن"[1].

والتَّصريح بلفظ الجلالة: الله، دالٌّ على الجبروت، حيث التَّصريح بلفظ الجلالة، أصل أسماء الله، وأعرف المعارف، ومناسب ذكره لمن لم يحققوا توحيد الألوهيَّة فيشركون بالله، وهذا من مطابقة الكلام لمقتضى الحال، وما يتبعه من معانٍ متعلقة به، فصرَّحت السُّورة بحصر العبوديَّة والاستعانة عليه، فالتَّصريح بلفظ الجلالة مهَّد لتوحيد الألوهيَّة وحاجة العرب -أهل عصر نزول القرآن — لتحقيق ذلك، وهذا من براعة الاستهلال، ومثل ذلك مجيء لفظة الجلالة اللَّفظة الثانية في الاستعاذة والبسملة والفاتحة.

وعبر بالجملة الاسميَّة: الله أكبر؛ لدلالة الاسميَّة على الثَّبات والدوام، بخلاف الفعل الَّذي يدلُّ على التجدد[2]، وتكررت الجملة الاسميَّة في الأذان ستًّا، وفي الإقامة أربعًا، وفي كلِّ ركعة خمسًا، للتَّأكيد والعناية بها، وتتكرر في كلِّ انتقال في الصَّلاة؛ ليكون القلب واعيًا معناها، فيعمل بمقتضاها خاشعا، لا سبيل للغفلة إليه، فتكرير التَّكبير تأكيد يقرر التَّوحيد، ويثبِّته في أحوال المسلم، وقد جاء القرآن بالتَّأكيد بقوله تعالى: ﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء: ١١١] .

(١) دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص١٤٦.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٧٤-١٧٥.

وتتنوع أدعية الاستفتاح[1]، وفي تنوع الاختيار دلالة على حضور القلب وتنشيطه، والانتقال عن العادة إلى الخشوع في العبادة، وفي الاستعاذة إشارة إلى أن الصَّلاة أعظم ما يقرب إلى الله، والشيطان أكبر صارف.

ولَّما كان مقام الصَّلاة مقام اتصال ولقاء مع الله ملك الملوك، احتاج هذا اللقاء إلى ثناء؛ وكلُّ ثناء بشريٍّ قاصر، فتكفَّل الله بأبلغ ثناء، فأنزل الفاتحة؛ ليطابق الثَّناء مقام الذات الإلهية؛ لأنَّه لا أحد يحيط بالثَّناء عليه سواه، فكانت الفاتحة أمَّ القرآن، لا يخرج عن معانيها، وهي مقدَّمة في القرآن وفي الصَّلاة، ولقد أغنانا المفسرون بكشف دقائقها[2]، فكانت وعاءً حمل أبلغ ثناء، يتخلله أعظم حوار، واتصال لغوي غيبي بين العبد وربِّه، فبدأت بالجملة الاسميَّة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢]، الدَّلة على الثَّبات والدَّوام؛ لتدلَّ على أنَّ كمال الحمد كلّه لله، سواء أحمده الحامدون أم لم يحمدوه، واختار الحمد دون الشكر؛ لأن الحمد أعمُّ، بدليل مجيئه مع أسباب الهداية، ونعمة الفلك، والسَّلامة، وفي الجنَّة، وفي الدُّنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَانَا﴾ [الأعراف: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١] ،وقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ۖ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

(١) للفائدة ينظر: أدعية ا ستفتاح الـ صَّلاة درا سة بلاغية، للدكتور: إبراهيم بن عبدالله بن غانم السماعيل، وورد ذكرها في المقدمة برقم (٣) في الدراسات السابقة.

(٢) ينظر: الكشـــاف ١/١١-١٧، ومفاتيح الغيب ١/٢١-٢٤٥، البحر المحيط ١/٢٧-٥٥، وروح المعاني ١/٣٥-١٠٠.

الْعَالَمِينَ﴿١٠﴾ [يونس: ١٠] وقال: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقال: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِى الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ وقال: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴿١٨﴾ [الروم: ١٨] .

وبدأت الفاتحة بحسن الاستهلال، وأحسنه ما ناسب المقصود(١)،كما هو الحال هنا، فالتَّصريح باسم الله حيث توحيد الألوهيَّة التي كفر بها كفار العرب وقتئذ، فناسب الاستهلال مقتضى الحال، ثمَّ جاء التعليل الحجاجيُّ للقضيَّة الكبرى توحيد الألوهيَّة؛ معلَّلا بأنَّه ربٌّ العالمين القائم بما يحتاجه كلُّ مخلوق من أعمال الربوبية، فاستحق صاحب هذه الربوبيَّة توحيده بألوهيَّته وأسمائه وصفاته، فمهَّد لذلك بلفظ الجلالة: الله، وتبعه ربٌّ، الرَّحمن، الرَّحيم، مالك، وتلك الأسماء جامعة معاني الرَّحمة والجبروت، فأحدثت التوازن في الانتقاء اللَّفظي ذي الدِّلالة العظيمة، وتعدد الأسماء دالٌّ على العظمة، والله والرَّحمن اسمان خاصَّان بالله وحده.

وأشار ابن القيم (ت٧٥١هـ) إلى ترتيب أسماء الله ومناسبتها للطَّلب فقال:" فهو يعبد بألوهيَّته، ويستعان بربوبيَّته، ويهدي إلى الصراط المستقيم برحمته"(٢).

وإذا كان البشر يملكون أشياء ماديَّة؛ فإنَّهم لا يستطيعون ملك لحظة من الزمن، فتفرَّد الله بذلك، فملك الزمن الدنيويَّ، والزمن الأخرويَّ، فقال:

---

(١) الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم ١٢٩/١.

(٢) ذوق الصَّلاة عند ابن القيم، ص٦٦.

﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤] ، فأتى الاستدراج البليغ، وأصله أن يتضمن نكتًا دقيقة في استدراج الخصم إلى الإذعان والتَّسليم[١]، أمَّا هنا فاستدرج العبد ليعترف مخاطبًا الله ربَّه: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، فقدّم ما حقَّه التَّأخير على طريقة أسلوب القصْر، حيث قصر العبادة والاستعانة على الله وحده لا شريك له، وخطاب الله بكاف المخاطب من أكمل مراتب الدين، وهو الإحسان، فخاطب الله كأنَّه يراه، وهو التفات من صيغة الاسم الظاهر إلى ضمير الخطاب الدالِّ على القرب، والاعتراف، وتأكيد الإقرار، وذكر الزمخشري (ت٥٣٨هـ) أنّ لهذا الأسلوب أغراضًا بلاغيَّة، ففيه تفننٌ بلاغيٌّ، وتنشيط للسَّامع بدلا من السَّير على أسلوب واحد[٢].

وهذا يظهر أنَّ الخطاب يحمل الإقناع، الَّذي جعل العبد يؤمن بأسماء الله وصفاته، فما كان منه إلا أن خاطب ربَّه معترفًا، وكان ثمرة هذا الاعتراف القيام مستقبلًا القبلة، ثمَّ الرُّكوع ثمَّ السُّجود فهي أفعال العبوديَّة التي جاءت بالتدرج إذعانًا وتسليمًا.

وتقديم العبادة على الاستعانة تقديم للأهمِّ على المهمِّ، وتقديم للسَّبب على المسَّبب، حيث الأوَّل سبب لتحقيق الثَّاني، فمن قدَّم بين يديه عبادة خالصة أعانه الله بما استعان به عليه، وذكر الزمخشري أنَّ العبادة قربة ووسيلة،

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢/٢٠٥.

(٢) ينظر: الكشاف ١/١٤.

والاستعانة طلب حاجة؛ لتتناول كلَّ مستعان عليه، فقدمت الوسيلة عليها؛ ليستوجب الإجابة[1].

وإسناد فعل العبادة والاستعانة إلى الضَّمير المستتر نحن، في: ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ يشعر بأهمِّيَّة المسند إليه، الَّذي يشعر بالجماعة وأهمية صلاحها، واستحضارها حين الدُّعاء، كقول المصلِّي: ﴿اهْدِنَا﴾؛ لأهمِّيَّة ذلك في الدِّين، وهذه الرُّوح حاضرة في غير موطن في الصَّلاة فهي تتكرَّر في الرُّكوع وفي الرَّفع من الرُّكوع وفي التَّشهد الأخير، على صور منها الإسناد إلى ضمير الجماعة، أو مجيئها واقعة في محل جر.

ففي الدُّعاء قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ، فنجد نا المتكلمين تستوعب كلَّ المصلِّين من أمَّة محمَّد -ﷺ- فهي استشعار لروح الجماعة في الصَّلاة سرًّا وجهرًا، وتكررت نا المتكلمين في ربِّنا ولك الحمد، وفي السَّلام علينا وعلى عباد الله، أمَّا في الآية فالأصل أن يتعدَّى الفعل بإلى أو باللَّام مثل ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الإسراء:٩]، ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٦] ، لكنَّ تعدية الفعل إلى مفعوله بلا حرف جر أضاف دلالة لفعل الهداية؛ لتحمل معنى دُلّنا، أو كما ذكر ابن عاشور؛ تفيد تضمين الفعل معنى عرَف، أو أنَّ حرف الجرِّ يستعمل لمن لم يكن سائرًا على طريق الهدى، وحذف حرف الجرِّ للاتساع، ويستعمل لمن كان سائرًا على طريق الهداية، وصيغة الأمر كونت جملة إنشائيَّة طلبيَّة غرضها الدُّعاء.

(١) ينظر: المرجع السابق ١/١٤-١٥.

لكنَّ الباحث يرى أنَّ في ذلك نظرًا، فالله قال لنبيِّه-ﷺ-: ﴿وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ٢]، وقال إبراهيم-عليه السَّلام- لأبيه: ﴿فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣] ، وترك حرف الجرِّ دالٌّ على قرب صراط الهداية ويسره في نظر الباحث، وفي الموضعين نصب الفعل مفعوله؛ ليحمل معنى فعل متعدّ مثل؛ امنحنا، وألهمنا، وارزقنا، وأرشدنا، لمن كان في الصِّراط كالنَّبي -ﷺ- ولمن ضلَّ كأبي إبراهيم، وكثيرًا ما يتعدَّى بحرف الجرِّ اللَّام أو إلى، كقوله تعالى: ﴿يَهْدِى مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢]، أي: يرشده ويدلَّه، وهنا يتبين أنَّ المنح والإلهام عطاء، وأعظم هداية بها يسلك الصِّراط، ويتحقق الهدف.

واستعارة الصِّراط للدِّين فنٌّ بيانيٌّ، أخذ فيه الشَّبه من الأشياء المشاهدة، والمدركة بالحواسّ على الجملة للمعاني المعقولة[1]، فهي استعارة تصريحيَّة حيث حذف المشبَّه وهو الدِّين، وذكر المشبَّه به وهو الطَّريق، فنقل المعنويَّ إلى المحسوس، فحرّكت الجنان، حتَّى ارتسم التَّشبيه في الأذهان.

والصِّراط المستقيم فيه إيجاز؛ وتفسيره بدله: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٧] ، وبدله من صور الإطناب؛ لغرض التَّفسير، فامتنع الوصل بالواو؛ لكون الثانيَّة بدلًا من الأولى، فظهر بالتَّكرير التَّأكيد، والقرآن يفسر بعضه بعضًا، وبيان المنعَم عليهم جاء في قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ

(١) ينظر: أسرار البلاغة، ص ٦٥-٦٦.

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ [النساء: ٦٩] ، ووصْف الصراط بالمستقيم من دلالته وصول الهدف من الانطلاق بأقصر مسافة وأعدله، ولازم ذلك أنَّ الانحراف، والغلو، والتنطع ميلٌ ليس من الدين؛ لكونه يبعد عن الهدف الّذي يسر الله صراطه، ويأتي بالمشقة التي تنافي التّيسير؛ لذلك وحّد الصِّراط، أما السُّبل فكثيرة متفرقة فنهينا عن اتباعها، وذكر الرازي (ت٦٠٦هـ) أنَّ في قوله: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]"إثبات الفعل للعبد، مع الإقرار بأنَّ الكلَّ بقضاء الله"(١).

والتَّضاد بين المنعمِ اللهُ عليهم والمغضوب عليهم في قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] ، يوضح الجنس المقرَّب، والجنسين المبعدين، وفي قوله: ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ و﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ نرى أنَّه عدل في الثَّانية عن مقتضى الظاهر في الإسناد؛ لبلاغة، حيث أسند الله النعمة إلى تاء المتكلم العائدة إليه، أما المغضوب؛ فهي اسم مفعول من فعل لم يسمِّ فاعله وهو: غُضِب، فلم يقل: غضبتَ كما قال: ﴿أَنْعَمْتَ﴾، وهذا التغاير في الإسناد مما لفت انتباه ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) فقال:" فأسند النعمة إليه لفظًا، وزوى عنه لفظ الغضب تحُّننًا ولطفًا"(٢). وبلاغة هذا العدول ظاهرة في أنَّ القول مساق على لسان العبد، وأدب العبد مع ربه أن يسند إليه فعل الخير كالإنعام، ولا يسند ما

(١) مفاتيح الغيب ١٦٤/١.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ١٣٧/٢.

يضاد الخير إلى ربه، لاسيما أنَّ الفاتحة دعاء، فناسبت الألفاظ مقتضى حال العبد، أو لأنَّ الغضب لعنة، وإذا غضب الله غضب معه خلق لا يحصيهم إلا هو –جلَّ شأنه– فجاء بالاسم المفعول، ومعلوم أنَّه من دلالة الفعل الَّذي لم يسمَّ فاعله، وقد يفيد اتساع دائرة الغاضبين، التي يبينها قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [ال عمران: ٨٧] .

والسُّكوت بعد كلِّ آية من سورة الفاتحة في الصَّلاة ينجب معاني نفسيَّة من خلال الصُّورة الذهنيَّة في الحوارات الغيبيَّة المنبثقة من المعتقد الدينيِّ، التي تسللت إلى العقل الباطن، فظهرت بالسكتات؛ ليقتنع بها العبد فتؤثِّر في سلوكه، فيعي حقيقة الحوار الغيبيِّ بين الله وعبده في الصَّلاة، الوارد في قول أبي هريرة –رضي الله عنه–فإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –ﷺ– يَقُولُ: " قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاة بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي – وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي – فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ، قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦–٧] ، قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ "[1].

(١) صحيح مسلم، باب: وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، رقم: (٣٩٥)، ٢٩٦/١.

وتأمين الملائكة صورة من صور اللُّغة التَّواصليَّة الغيبيَّة، وقد كان رسولُ الله- ﷺ -إذا قرأ ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال: "آمين" ورفع بها صوتَه[1].

ومدُّ الصَّوت يحتاج هيأة جسديَّة وهو من البلاغة، ومن رحمته -ﷺ- بأمَّته ليبلغهم؛ وليستوعب مدّه ما قد يحدث من تفاوت في التَّأمين بين المأمومين، وتلك بلاغة، ينال المؤمّن بها فرصة كبيرة؛ ليوافق تأمينه تأمين الملائكة فينال الوعد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِي -ﷺ- قَالَ: "إِذَا أَمَّنَ الْقَارِئُ فَأَمِّنُوا، فإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُؤَمِّنُ، فَمَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ الْمَلَائِكَةِ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ"[2].

ففي مدِّ الصَّوت بالألف والياء هنا بلاغة؛ لما فيه من انتشار، وارتفاع، وتبليغ، وأثر في المعنى، وطلب توافق بين المؤمنين من إمام، ومأموم، وملائكة عليهم السَّلام؛ يؤذن بالمغفرة والإجابة؛ ولكونه صوتًا أنجبه لفظٌ حمل معنى، ومُدّ مراعاة لأقدار المستمعين وأقدار الحالات، وذلك من البلاغة وقد أشار الجاحظ إلى وجوب الموازنة بين المعنى وأقدار المستمعين، وأقدار الحالات، وأنَّ لكلِّ طبقة ومقام وحال ما يناسبه[3].

---

(١) سنن أبي داود، باب: التَّأمين وراء الإمام، رقم: (٩٣٢)، ١٩٥/٢، وقال المحققان: إ سناده صحيح.

(٢) صحيح البخاري، باب: التَّأمين، رقم: (٦٤٠٢)، ٨٥/٨.

(٣) ينظر: البيان والتبيين ١٨/١.

ومن هنا تحققت البلاغة الصوتية بتحقق أمرين: الأوَّل: أنَّها تجاوزت الإطار الصوتي بجرسه وإيحائه إلى ما أحدثته من إبراز المعنى وتأكيده، والثاني: أنَّه تحقق بالأداء الصوتي مطابقة الكلام لمقتضى الحال[1].

(١) ينظر: البلاغة الصوتية في القرآن والكريم، ص١١.

المطلب الثاني: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه

الرُّكوع لغة جسديَّة، من دلالاتها أنَّها تحيَّة بعض الشُّعوب لعظمائها(١)، والحقُّ ألا يفعل إلا لله تعظيمًا وتذللًا، وتتضافر الأدلة؛ لتبين صفة ركوع النَّبي -ﷺ- لنقف عليها مستنبطين ما وراء اللُّغة الجسديَّة من دلالات، ومن ذلك حديث عائشة -رضي الله عنها – وفيه:"...وكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ، وَلَمْ يُصَوِّبْهُ، وَلَكِنْ بَيْنَ ذَلِكَ، وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكوعِ لَمْ يَسْجُدْ، حتَّى يَسْتَوِيَ قائمًا..."(٢) وحديث: "...ثمَّ ارْكَعْ حتَّى تَطْمَئِنَّ راكعًا، ثمَّ ارْفَعْ حتَّى تَسْتَوِيَ قائمًا... "(٣). وحديث:"...إِذَا رَكَعَ أَمْكَنَ يَدَيْهِ مِنْ رُكْبَتَيْهِ، ثمَّ هَصَرَ ظَهْرَهُ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ اسْتَوَى..."(٤).

فالرُّكوع بعد القيام لغة تشير إلى صورة من صور الاستجابة الجسديَّة، وثمرة من ثمار القيام والتَّكبير، وتحقيق للُّغة اللَّفظيَّة﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

---

(١) اختلفت التَّحيَّة لدى الـ شعوب منها قول فقط، ومنها حركة جـ سم فقط، أو الجمع بينهما، كالانحناء، ورفع اليد أو مدها، وكتحيَّة العـ سكريين، وللمزيد ينظر: لغة الجـ سد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، ص٢٩ وما بعدها. ولغة الحركات، ص١٢٥.

(٢) صحيح مسلم، باب: ما يجمع صفة الصَّلاة وما يفتتح به ويختم به، وصفة الرُّكوع والاعتدال منه، والسُّـــجود والاعتدال منه، والتشـــهد بعد كل ركعتين من الرباعية، وصـــفة الجلوس بين السجدتين، وفي التشهد الأوَّل، رقم:(٤٩٨)، ٣٥٧/١.

(٣) صحيح البخاري، باب: من رد فقال عليك الـ سَّلام، رقم: (٦٢٥١)، ٥٦/٨. و صحيح مسلم، باب: اقرأ ما تيسر معك من القرآن، رقم: (٣٩٧)، ٢٩٨/١.

(٤) صحيح البخاري، باب: سنة الجلوس في التشهد، رقم: (٨٢٨)، ١٦٥/١.

[الفاتحة: ٥] ، فجاءت اللُّغة الجسديَّة قيام باعتدال، ثمَّ انحناء باستواء واطمئنان، يحمل دلالة التَّذلُّل والعبودية التي لا تكون إلا لله، والاستواء الظاهر في كونه -ﷺ- لم يشخص رأسه؛ أي (لم يرفعهـــ) ولم يصوبه؛ أي (لم يترلهـــ) يبرز صورة التَّذلُّل التَّام بلا نقص ولا زيادة، فوراء الاستواء الجسديِّ اعتدال سلوكيٌّ، والطَّمأنينة هي الاستقرار بما يناسب الرُّكن، وتوحي بدلالة الثَّبات والنَّشاط، وإلى ما تجده النفس من شعور زكي جعلها -وهي تنحني لخالقها- تستقرُّ في الاطمئنان؛ مترِّهة ربَّها عن هذا الرُّكوع باللُّغة اللَّفظيَّة لغة التسبيح.

وركوع الإمام قد يكون لغة تواصليَّة فيها استحثاث المسبوق بأن يسرع، فتكون لغة تخاطب بين الإمام والمتبوع، وكذلك المسبوق؛ ليدخل الصَّفَّ، ويدرك الرَّكعة بإدراكه الرُّكوع؛ لذلك ينتظر بعض الأئمة من يسمعون قرع نعالهم؛ ليدركوا الرَّكعة، والمسبوق يفهم هذه اللُّغة الجسديَّة أنَّها للانتظار، فيسارع لإدراكها، فأصبحت اللُّغة الجسديَّة لغة تواصليَّة ذات دلالة معنويَّة، وفي الحديث عَنْ أَنَسٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ للَّه حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فيه" فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله -ﷺ- صَلَاتَهُ قَالَ: "أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِالْكَلِمَاتِ؟" فَأَرَمَّ الْقَوْمُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمُ الْمُتَكَلِّمُ بِهَا؟ فإنَّه لَمْ يَقُلْ بَأْسًا" فَقَالَ رَجُلٌ: "جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا"، فَقَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا"[1]، فالصمت عن الجواب لغة دلت على الخوف، واستدعت قوله –

(١) صحيح مسلم، باب: فضل قول الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا، رقم: (٦٠٠)، ٤١٩/١.

ﷺ- "لم يقل بأسا"، وقوله: حفزه النفس، وقول الداخل معتذرا: جئت وقد حفزني النفس، ليست كناية، لكنَّها لغة جسديَّة واقعية تشير إلى الإسراع الَّذي كان من لازمه الزفير المتسبب في ارتفاع الصوت، والمسبب سماع النَّبي -ﷺ-كلمات ثنائه على ربه وامتداحه تلك الكلمات.

والاستواء بعد الرَّفع يعانقه رفع اليدين للتَّكبير مع التلفظ به؛ ليعبِّرا عن الاستسلام فعلًا وقولًا، وهذان يجتمعان حال القيام، ويطابقان مقتضى الحال، فأَنسب مقام للمستسلم أن يقف ويرفع يديه، فتضافرت اللغتان على هذا المعنى؛ ليؤكِّد أحدهما الآخر، مع ما في الصُّورة الحسيَّة في الرُّكوع والاستواء، والرَّفع والاعتدال من معاني الاستجابة العمليَّة لألفاظ العبوديَّة؛ التي تلفَّظ بها اللسان، وأقرَّها الجنان، وظهرت في لغة الجوارح.

وإذا كان الرُّكوع تعظيمًا للربِّ باللُّغة الجسديَّة؛ فهو وعاء لتسبيح الربِّ وحمده، يؤكِّد ما سبقه من التَّحميد والتَّكبير والتَّعظيم لله والثَّناء عليه وتسبيحه، وهذا الرُّكوع قربة وتوطئة وتهيئة بين يدي السُّجود الَّذي هو محلُّ الدُّعاء والإجابة، وفي كلِّ ركعة قيامان، وركوع، وسجدتان.

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الرُّكوع والرَّفع منه

الرُّكوع، وانحناء الجسد الَّذي كان قائمًا معتدلًا يشير إلى زيادة تذلل زادت على تذلل القيام، بعد أن عرف المتذلل صفات ربِّه حال قيامه، وهو توطئة للسُّجود الَّذي هو محلُّ الدُّعاء، والسُّجود أشدُّ تذللًا من المقامين، وفي الرُّكوع تأتي ألفاظ التَّعظيم كما أرشد إليها النَّبي -ﷺ- :"...فَأَمَّا

الرُّكوع فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ..."[1]، فالكلام مطابق لمقتضى الحال لبلاغته، فقد انحنى الجسد بلغته الجسديَّة تعظيمًا لله وتذللًا، وعاضد ذلك تنزيه الله عن الانحناء، وعن كلِّ منقصة باللُّغة اللَّفظيَّة بصور مختلفة، منها: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ"[2]، فعبّر بالمصدر بدلًا من الفعل أسبح؛ لأنَّ الفعل يدلُّ على التَّجدد وفيه انقطاع، أما الاسم سبحان؛ فهو دالٌّ على الثُّبوت والاستمرار، فأضيف إلى مفعوله، واختير لفظة ربٍّ بدلًا من أسماء الله الأخرى؛ لما تحمله من معاني الرُّبوبيَّة من خلق، ورزق، وعناية، وهداية، ومحيا، وممات، وجزاء؛ ليوجب حقَّ الله على عبده، وهو أسلوب حجاجيٌّ يعلِّل سبب التَّسبيح، ثمَّ أضيف إلى ياء المتكلم تشريفًا؛ ولأنَّ التَّنزيه يكون لفظًا، ويكون عملًا ظاهرًا وباطنًا، فجاءت ياء المتكلم؛ لكون الرَّاكع أدرى بحقيقة عبادته، وهي به ألزم، وبتذلـّـُله أنسب؛ ولتوحي بأنَّ كلَّ مسبِّح اعترف بربوبيَّة الله له، فأوجب على نفسه ألوهيَّته، ولم يقل: ربَّنا؛ كيلا يلتبس المقصود بتعظيم المسبِّح نفسَه؛ ولأنَّ من كمال التَّذلُّل الانشغال بالذَّات التي دلَّ عليها ياء المتكلم، بينما يختلف الأمر في الفاتحة بقوله: اهدنا، وفرْق بينهما؛ لكون الثَّاني دعاء للأمَّة بالهداية، فهو استحضار للاهتمام بحال الأمَّة، وموعود بمثل دعائه بالغيب، وهذا الرُّكوع الجسديُّ،

(١) المرجع السابق، باب: النهي عن قراءة القرآن في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٤٧٩)، ٣٤٨/١.

(٢) المرجع السابق باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، ٥٣٦/١.

والتَّسبيح والتَّعظيم اللَّفظيُّ؛ هو من تقديم الثَّناء الجسديِّ واللَّفظيِّ بين يدي الدُّعاء في السُّجود؛ ليكون أبلغ، وأحرى بالإجابة.

واختيار اسم الله (العظيم) بدلًا من غيره مناسب للمقام من جهتين؛ الأوَّل: أنَّ العظيم اختاره النَّبي -ﷺ- استجابة لله، فلمَّا نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤] ، قال رسولُ الله - ﷺ: "اجعَلُوها في رُكوعِكم"(١)، والثَّاني: أنَّه تنزيه لا يكون إلا للعظيم جلّ شأنه، فجاء معرفًا بأل ليدلَّ على الله وحده، قاصرًا العظمة عليه بأل التَّعريف. ونظيره في القرآن تفريق الله -جلَّ شأنه- لعظيم والعظيم في قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] ، وقوله تعالى بعدها: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩﴾ [النمل: ٢٦] ، فالتعريف جاء للحصر، فلا عرش أعظم من العرش العظيم.

والرَّازي يرى أن ذكر العظيم في الرُّكوع، والأعلى في السُّجود له فائدة، ذلك أنَّ العظيم يدلُّ على القرب، والأعلى يدلُّ على البعد، فالعظيم بالنسبة إلى الكلِّ هو الَّذي يقرب من الكلِّ، وأمَّا العليُّ فهو البعيد عن كلِّ

(١) صحيح مسلم، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، ١/٥٣٦.

شيء، فهو أعلى من أن يحيط به إدراكنا، ثمَّ فضَّل الأعلى على العظيم؛ لتحليل ذكره[1].

وأيضا "يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ"[2]، فالتوازن الصوتي والصرفي بين سبُّوح وقدُّوس أحدث جرسًا بين كلمتين كلتيهما دالتان على التَّنزيه، فكلتاهما جاءتا على وزن فُعُّول، وهما عند سيبويه (ت١٨٠هـ) اسمان ليسا كسبحان، بل كأنَّه لفظة إقرار وتصديق، فإذا ذكر الله ذاكر قيل: سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، أي هو أهل لهذا الذِّكر[3].

ويذكر ابن خالويه (ت٣٠٧هـ) أنَّه لا يوجد في كلام العرب فُعُّول بالضم إلا هذين[4]، فالانفراد في التركيب انفراد في الدِّلالة، ومعنى الأوَّل التَّنزيه، والثَّاني الطَّهارة، فاجتمع باللَّفظين معنى التَّوكيد، وإضافة ربٌّ للملائكة والرُّوح فيه تشريف لهما، ووصف لله بالعظمة لربوبيته للملائكة المصطفين، وهم أعظم العالمين خلقًا، وذكر جبريل -عليه السَّلام- بعد ذكرهم جاء على وجه الإطناب من ذكر الخاصِّ بعد العام؛ لمزيد من التَّشريف والتَّكريم؛ لذلك ذكر مرَّتين، فهو المستأمن على الوحي.

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب ٢٩ /٤٢٤-٤٢٥.

(٢) صحيح مسلم، باب: ما يقال في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٤٨٧) ٣٥٣/١.

(٣) ينظر: الكتاب، سيبويه، ٣٢٧/١.

(٤) ينظر: ليس في كلام العرب، ص٢٥٠.

وكان -ﷺ- إذا رفع من الرُّكوع يقول: "سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ"(١) فالتَّعبير بالفعل الماضي سَمِع دالٌ على التَّحقيق، والجملة الخبريَّة فيها بشارة تبعث على التَّفاؤل، ومجيء لفظ الجلالة الله، دون الربّ أو الأسماء الأخرى دالٌ على عظمة الله، حيث سمع حَمْدَ كلِّ حامد، والحمد من توحيد الألوهيَّة الَّذي جاء الدين لإقراره، فناسب ذلك لفظ الجلالة الدَّال عليها، واسم الموصول وصلته فيه امتداح وبشارة للحامدين الَّذين سمع الله لهم، فالحمد بدأت به سورة الفاتحة، والحمد تكرر في ركوع، وسجود، وغيره، فما أكثر الحامدين! وفي رواية "سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ"(٢)، نجد جملة سمع الله؛ متناسبة أسلوبًا وتركيبًا مع ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] ، وجملة ربَّنا ولك الحمد؛ متناسبة مع ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وحذف ياء النِّداء لقرب ربِّنا منَّا، وعبَّر بالربِّ أيضا؛ لأنَّ فيها ثناء على الله بربوبيَّته التي منها العناية والسَّمع والاستجابة، وأضيف الربّ إلى نا المتكلمين؛ لكثرة الحامدين؛ ولأنَّه أوسع تفاؤلًا، وأكمل ثناء؛ لدلالته على أنَّ الله قد سمع حمد كلِّ حامد، فحُمد بلسان كلِّ حامد بإضافة الربّ إلى نا المتكلمين، وروح الجماعة ظاهرة هنا، كما في قوله تعالى ﴿اهْدِنَا﴾ [الفاتحة:٧]، التي تحضر فيها نا المتكلمين المعتنية بالجماعة، وتقديم الجارِّ

(١) صحيح مسلم، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، ٥٣٦/١.

(٢) المرجع السابق، باب: استحباب القنوت في جميع الصَّلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة، رقم: (٦٧٥) ٤٦٦/١.

والمجرور يفيد حصر الحمد على الله الَّذي خلق وهدى، وأعاد للجسم الرَّاكع استقامته، واستواءه قائمًا، وسمع له، وفي رواية "وَإِذَا رَفَعَ قَالَ: اللهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ"(١) حيث شبَّه الحمد بالمحسوس الَّذي له جسم، فتكون السماوات والأرض وكلُّ شيء ظرفًا له يمتلئ منه، وذلك على سبيل الاستعارة المكنيَّة، وهذا دالٌّ على الكثرة، وجاء الحمد بأسلوب مباشر على الحقيقة في الرِّواية الأخرى في دعاء الصَّحابي الَّذي حفزه النَّفس حيث قال:"الْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ"(٢)، فتنوَّعت الأساليب والدِّلالات، والحمد لله.

(١) المرجع السابق، باب: الدُّعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم:(٧٧١) ٥٣٤/١.

(٢) المرجع السابق، باب: فضل قول الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا، رقم: (٦٠٠) ٤١٩/١.

المطلب الثالث: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام السُّجود

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام السُّجود

السُّجود على مر العصور لغة جسديَّة حملت دلالات كثيرة، فمنه ما يكون لله عبادة، وكان لآدمَ بأمر الله تعظيمًا، وليوسف -عليه السَّلام- في رؤياه تصديقًا، وهو بمعنى التَّحيَّة لدى بعض الشعوب، لكنَّه في شرعنا أصبح ذا دلالة واحدة، فلا يكون إلا لله تحيَّة وتعبدًا، وإذا كان الاستدراج الَّذي ذكره ابن الأثير في الكلام[1]؛ فإنَّ الباحث يراه كذلك في الأفعال، لكنَّه بلا مخادعة في هذا المقام، فالقيام بحججه إقناع للمصلِّي أن يركع، والرُّكوع بحججه وما فيه من تعظيم استدرج المصلِّي حتَّى أذعن ساجدًا، فانقاد المصلِّي إلى الإذعان والتَّسليم، من التَّكبير إلى التَّسليم؛ فلمَّا قام ثمَّ ركع سَجَد فبلغ أقصى معاني العبودية، فوضع أشرف عضو وهو الوجه على وجه الأرض مشيرًا إلى كمال التَّذلُّل، فسجد بسجود وجهه كلُّ عضو، فهذه اللُّغة الجسديَّة تشير إلى الاستجابة التَّامَّة لجميع الأعضاء، فكانت ثمرة العبودية قرب الساجد على الأدنى من ربِّه الأعلى، وهو طباق بين اللغة اللَّفظيَّة والجسديّة، والسجدتان في كلِّ ركعة تشيران إلى زيادة فرص الدُّعاء والقبول، فالساجد أقرب إلى ربِّه بغير حساب المسافات، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ -ﷺ- قَالَ: "أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ، وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعاء"[2]، فالوجه ومنافذ حواسه خرَّت سجَّدًا لربِّها؛ وتلك لغة

---

(١) ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ٢/٢٠٥.

(٢) صحيح مسلم، باب: ما يقال في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٧٧١) ١/٥٣٤.

جسديَّة دلالتها التَّعظيم والتَّقرُّب والتَّذلُّل، وسجدت كلُّ الجوارح مستقبلة القبلة، سجدت اليدان بأكفِّهما وأصابعهما مستقبلة القبلة، وسجدت القدمان مستقبلتين بأصابعهما القبلة(١)، وسجدت الساقان والرُّكبتان مستقبلتين القبلة، وذلك هو الاستدراج حتَّى تم التَّسليم والإذعان، ودليل هذا المعنى لهذه اللُّغة الجسديَّة ما رواه الْعَبَّاس بْن عَبْد الْمُطَّلب–رضي الله عنه– أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله –ﷺ– يَقُولُ:"إِذَا سَجَدَ الْعَبْدُ سَجَدَ مَعَهُ سَبْعَةُ أَطْرَافٍ: وَجْهُهُ، وَكَفَّاهُ، وَرُكْبَتَاهُ، وَقَدَمَاهُ "(٢).

وتظهر صورة من صور الطِّباق بين رفع اليدين حذو المنكبين قائمًا مكبرًا، وصورة بسط الكفَّين على الأرض حذو المنكبين ساجدًا متذللًا، كما أنَّ الجسد أثناء السُّجود يعبِّر بلغات جسديَّة تشير إلى النَّشاط والقوَّة، وعظمة خلق الله في تكيف الإنسان على السُّجود بلا مشقة، ومن غير اعتماد عضو على عضو، وتلك لغة تشير إلى التفكر بأن الله خلقه في أحسن تقويم، وهذه الدِّلالة ظاهرة في دعائه –ﷺ– في السُّجود بقوله:"... سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ، وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ"(٣)، لذلك فالنَّبي –ﷺ– "كَانَ إِذَا صَلَّى فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ، حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ"(٤)،

(١) صحيح البخاري، باب: سنة الجلوس في التشهد، رقم: (٨٢٨)، ١/١٦٥.

(٢) صحيح مسلم، باب: ما يقال في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٤٩١) ١/٣٥٥.

(٣) المرجع السابق، باب: الدُّعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم:(٧٧١) ١/٥٣٤.

(٤) المرجع السابق، باب: ما يجمع صفة الصَّلاة وما يفتتح به ويختم به، وصفة الرُّكوع والاعتدال منه، والسُّجود والاعتدال منه، والتشهد بعد كل ركعتين من الرباعية، وصفة الجلوس بين السجدتين، وفي التشهد الأوَّل، رقم:(٤٩٥) ١/٣٥٦.

وهذه اللُّغة الجسديَّة تشير إلى القوَّة في العبادة، و"كَانَ النَّبي -ﷺ- إِذَا سَجَدَ لَوْ شَاءَتْ بَهْمَةٌ أَنْ تَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ لَمَرَّتْ"(١)، فما لفت انتباه راوي الحديث وجعله يصف سجوده،كان يحمل دلالة النَّشاط والقوَّة، فالعبادة قوَّة، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ، ومن الطِّباق الجسديِّ الَّذي يشير إلى الكسل التثاؤب، وهو من الشَّيطان، فنهي عنه، ومن صور النَّشاط والقوَّة توجيه النَّبي -ﷺ- بقوله: "إِذَا سَجَدْتَ، فَضَعْ كَفَّيْكَ وَارْفَعْ مِرْفَقَيْكَ"(٢). ولكنْ في مقام العجز عن السُّجود يأتي الإرشاد من النَّبي -ﷺ- بقوله: "اسْتَعِينُوا بِالرُّكب"(٣) وهذا يشير إلى دلالة التَّيسير والتَّخفيف، وعلى مناسبة الفعل لمقتضى الحال، وعلى مراعاة الدِّين حاجات النَّاس، وأنَّ لكلِّ طبقة، ومقام، وحال، ما يناسبه، كما ذكر الجاحظ(٤).

وقد أورد ابن القيم تعليلًا لما سبق فقال: "وشرع له أن يقلّ فخذيه عن ساقيه، وبطنه عن فخذيه، وعضديه عن جنبيه، ليأخذ كلُّ جزء منه حظَّه من الخضوع، ولا يحمل بعضه بعضًا"(٥).

---

(١) المرجع السابق، باب: باب ما يجمع صفة الصَّلاة وما يفتتح به ويختم به، و صفة الرُّكوع والاعتدال منه، والسُّجود والاعتدال منه...، رقم: (٤٩٦)، ٣٥٦/١.

(٢) صحيح مسلم، باب: الاعتدال في السُّجود، ووضع الكفين على الأرض ورفع المرفقين عن الجنبين، ورفع البطن عن الفخذين في السُّجود، رقم: (٤٩٤)، ٣٥٦/١.

(٣) مسند الإمام أحمد، مسند أبي هريرة، رقم: (٨٤٧٦)، ١٨٢/١٤، سنن أبي داود، باب: التحصر والإقعاء، رقم: (٩٠٢)، ١٧٢/٢، وقال المحققان: إسناده قوي.

(٤) البيان والتبيين ١٨/١.

(٥) ذوق الصَّلاة عند ابن القيم، ص٢٣.

ومن اللغات الجسديَّة التي نُهِي عنها في السُّجود تكريمًا للمصلِّي، وشبِّهت بأفعال الحيوانات إلقاء الجسد على الأرض حين السُّجود، كما يبرك البعير؛ تنزيهًا للمصلِّي وتكريمًا؛ ولأنَّه ينافي الطَّمأنينة، وكذلك بسط السَّاجد ذراعيه على الأرض كما يبسطها الكلب، فشبَّه الفعل بفعل الكلب تقبيحًا، وهذه الهيئات فيها طباق جسديٌّ بين المشروع والمنهي عنه، واللُّغة الجسديَّة المشروعة كما جاء عن وائل بن حُجر -رضي الله عنه- قال: رأيت النَّبي- ﷺ -إذا سجدَ وَضَعَ رُكْبتيه قبل يديه، وإذا نَهَضَ رفع يديه قبلَ رُكبتيه[1]، ويقوم من السُّجود معتمدًا على ركبتيه لا على كفَّيه، وتلك اللُّغات الجسديَّة دالة على إظهار النَّشاط والقوَّة في العبادة ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣]، ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢].

والقيام بعد السُّجود لغة تشير إلى تجديد نشاط العبادة؛ لذلك صار وصفًا لعباد الرحمن، ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ [الفرقان: ٦٤] ، فمجيء القيام بعد السُّجود مغايرًا للتَّرتيب يشير إلى إظهار المحبَّة الباعثة على تجديد النَّشاط في العبادة، وإنشاء ركعة بعد سجدة، والسُّجود هو خلاصة الصَّلاة، والفعل الصادق الَّذي يؤيد الثَّناءات اللَّفظيَّة والفعليَّة السَّابقة، وبه تختتم الرَّكعة، وإذا كان في الكلام حسن استهلال وبراعة تخلُّص، فكذلك في اللُّغة الجسديَّة فالسُّجود، والجلوس، والتَّسليم، من أبرع ما تختتم به الصَّلاة.

---

(١) سنن أبي داود، باب: كيف يضع ركبتيه قبل يديه، رقم: (٨٣٨)، ١/١٥٧، وقال المحققان: إسناده حسن.

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام السُّجود

السُّجود وعاء لألفاظ التَّنزيه والدُّعاء، فلمَّا نزل قول الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] قال- ﷺ -: "اجعَلُوها في سُجودِكم"(١)، ثمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: "سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى"(٢)، فالسُّجود على أشرف عضو على أدنى موطن هو عمل تعبديٌّ، وصار ظرفًا يناسبه تنزيه العبد ربَّه عن هذا السُّجود الَّذي لا يَتذلَّل به إلا عبد محتاج، والله هو الغنيُّ، فأكّد التسبيحُ لغةَ السُّجود الجسديَّة، فتعانقا تذلُّلاً من العبد، وتنزيهًا للمعبود، وهذه صورة من صور توكيد اللُّغة اللَّفظيَّة للُّغة الجسديَّة، وتلاحم الإشارة مع العبارة.

والتَّعبير بالمصدر سبحان؛ أبلغ من التَّعبير بالفعل في هذا الموطن؛ لأنَّ العبد في سجوده يدعو، ويتحرَّى الأبلغ لفظًا؛ لبلوغ الإجابة، فأوجز بحذف فعل المصدر، واستعمل المصدر وحده، وبلاغته في كون "المصدر يدلُّ على زمان مطلق، والفعل يدلُّ على زمان معين"(٣)، فدلالة المصدر على حدث التَّسبيح من غير تعيين زمن أكمل في الثَّناء؛ لأنَّه يَسْمح للمصدر أن يكون في جميع الأزمنة الثلاثة، وهذا في تسبيح الله كائن، فتسبيحه دائم، وناسبه استعمال المصدر، قال ابن جني:" واعْلَم أَن الْمصدر كل اسْم دلّ على حدث، وزمان مَجْهُول"(٤).

---

(١) سنن أبي داود، باب: تفريع أبواب الرُّكوع والسُّجود، رقم: (٨٦٨)، ١٥١/٢، وقال المحققان: إسناده حسن.

(٢) صحيح مسلم، باب: استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم: (٧٧٢)، ٥٣٦/١.

(٣) أسرار العربية، ص ١٣٨.

(٤) اللمع في العربية، ص٤٨.

ونظائر هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة :١٦٤] ، فنلاحظ اختلاف التَّعبيرين، بين لفظتي ﴿وَاخْتِلَافِ﴾ ﴿ وَبَثَّ ﴾، ، فالاسم ناسب ما حالته الثَّبات والدَّوام، والفعل ناسب ما حالته التَّجدد، فاختلاف الليل ثابت مستقرٌّ فاستعمل له المصدر، وبثُّ الدَّوابِّ متجدِّد فاستعمل له الفعل، ونظائره كثيرة.

وفي السُّجود يظهر الطِّباق بين اللُّغة اللَّفظيَّة والجسديَّة، فالسُّجود على الأدنى، ويسأل الأعلى، وهو يشير إلى استحضار القلب الفعل فكان اللسان عليه دليلًا، والطِّباق في الصَّلاة أتى على صور مختلفة؛ فمنه الطِّباق بين اللُّغة الجسديَّة نفسها؛ كالطِّباق بين القيام والجلوس، وكما بين رفع السَّبَّابة للتَّشهد وخفضها، وأتى في الأصوات؛ كما بين الجهريَّة والسريَّة، وغير ذلك، وذلك يشير إلى ما بين اللُّغتين من تعانق دلاليٍّ.

المطلب الرابع: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في مقام الجلوس

أولا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس

يحمل الجلوس دلالات حسب مقصد فاعله، فلكلِّ هيئة جلوس معنى، فالنَّبي -ﷺ- عندما عدَّد الكبائر وصف الراوي -رضي الله عنه- هيئته، فقال: "وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ..."(١)، فرواية الراوي للُّغة الجسديَّة منبثقة من الحال المشاهدة التي دلَّت على دلالة هذه اللُّغة الجسديَّة، ففهمها المتلقي؛ وتنبَّه إلى خطر ما سيذكر، فعلم عظم قول الزور وشهادته.

ودلالات الجلوس متعدِّدة، فهناك جِلسة المتعلِّم، وجلسة المستعجل، وجلسة المتواضع، والجلسة على الطعام، وجلسة المصلِّي وتباينها بين السجدتين، وفي التَّشهد الأوَّل، وفي التَّشهد الأخير، وسيأتي بيان ما يخص الصَّلاة فيما يأتي.

١- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس بين السجدتين

في كلِّ ركعة سجدتان، بينهما جلوس على الرُّكبتين، تنصب فيه القدم اليمنى، وتفترش القدم اليسرى، وهذه اللُّغة الجسديَّة متعدِّدة الدِّلالات، فهي تحمل معنى التَّذلُّل لله؛ لكونها جلسة محتاج فقير، يسأل وينتظر العطاء، فتشير إلى أنَّ الجسم بعد أن تقرَّب إلى الله بكلِّ هيئاته، فتعبد الله قائمًا، وراكعًا، وساجدًا، جلس ينتظر العطاء، مقدمًا بين يديه الجلوس تحيَّة لله، وثناء عليه جسدًا ولفظًا، مع إرخاء النَّظر في موضع السُّجود الَّذي يشير إلى الإذعان

---

(١) صحيح مسلم، باب ما قيل في شهادة الزور، رقم: (٢٦٥٤)، ١٧٢/٣.

وكمال الثَّبات، وعدم الانشغال بغير ما هو فيه، وكلُّ ذلك لحاجة الجالس بين يدي المنعم وانتظاره العطاء؛ لذلك كان -ﷺ- يطيل الجلوس حتَّى يقال أوهم[1]، ويؤكِّد هذا المعنى الذِّكر المشروع في هذه الجلسة، ونصب القدم اليمنى يشير إلى سجود العضو، وإلى استقبال أصابعها القبلة، والافتراش يشير إلى الحاجة إلى أسباب الطُّمأنينة والاستقرار، أمَّا الإقعاء فهي لغة جسديَّة تنافي الطَّمأنينة، فكانت من صور الطِّباق الجسدي، فنهي عنه، وشبِّه بإقعاء الكلب تقبيحًا. ومن عجز عن القيام صلى متربعًا بدلًا من القيام في مقام القيام، وجالسًا على ركبتيه فيما مقامه الجلوس[2]، وهذا التغاير لمناسبة الفعل مقتضى الحال، والتفريق بين الحالين؛ لما يحمله التغاير من دلالة تواصليَّة؛ و هذا من توجيه النَّبي -ﷺ- لعِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- بقوله: "صَلِّ قائمًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقاعدًا، فإنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ"[3] وما روته عَائِشَةُ -رضي الله عنها-حيث قَالَتْ: "رَأَيْتُ النَّبِي -ﷺ- يُصَلِّي مُتَرَبِّعًا"[4]، وهاتان اللغتان الجسديتان تحملان دلالتين، فيهما تفريق بين مقام القيام الَّذي ناب عنه التربُّع، ومقام غيره الَّذي ناب عنه الجلوس؛ منعًا للبس، ويُصحب كلٌّ موضع بإشارات تناسب الفعل في الصَّلاة، حسب حالة العاجز، وهي من

(١) ينظر: المرجع السابق، باب اعتدال أركان الصَّلاة وتخفيفها في تمام، رقم: (٤٧٢)، ٣٤٤/١.

(٢) ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، ١٢٣/٢.

(٣) صحيح البخاري، باب: إذا لم يطق قاعدًا صلى على جنب وقال عطاء إن لم يقدر أن يتحول إلى القبلة صلى حيث كان وجهه، رقم: (١١١٧)، ٤٨/٢.

(٤) السنن الصغرى للنسائي،باب: كيف صلاة القاعد، رقم: (١٦٦١)، ٢٢٤/٣، وبحاشيته حكْم الألباني أنَّه صحيح.

صور مطابقة اللُّغة الجسديَّة لمقتضى الحال، وهي كمراعاة أحوال المخاطبين، فكما أنَّها في اللُّغة اللَّفظيَّة؛ فهي كذلك في اللُّغة الجسديَّة، ويشير ذلك إلى يسر الدِّين، وأهمية الصَّلاة التي لا تسقط عن المسلم العاقل مهما كان حاله.

واليد اليمنى على الفخذ اليمنى مبسوطة، ومستقبلة أصابعها القبلة، واليد اليسرى على الفخذ اليسرى، مبسوطة ومستقبلة أصابعها القبلة، فهاتان الصُّورتان تشيران إلى أنَّ الأعضاء تستقبل القبلة، وتسجد وتتذلَّل، فاليد وأصابعها تستقبل القبلة، والجسم بأعضائه أذعن واستسلم، وهذه الصُّورة لليدين تختلف عنها في الجلوس للتَّشهد؛ لاختلاف المقام ولفظه.

ونظر العين إلى مكان السُّجود لغة دالة على الثَّبات والخشوع حذَر التَّشتت؛ ليبقى القلب بمنافذه مدركًا وعاقلًا ما يخاطب به ربَّه، ونظر العين هنا يختلف عنه حال التَّشهد، لاختلاف المقامين.

ويكون الاعتماد في القيام على الرُّكب وليس على الأرض؛ لأنَّه يشير إلى القوَّة والنَّشاط، وإلى نعمة الله في خلْقه عبدَه، حيث خلقه في أحسن تقويم، يتكيف جسمه بمفاصله على كلِّ هيئة في الصَّلاة، فلا حاجة للاستناد على الأرض، أو حائط، أو ما هو خارج عن الجسد إلا من حاجة؛ لذلك كُره كلُّ فعل يشير إلى الكسل كالتَّثاؤب، وإلقاء الجسد على الأرض عند السُّجود كالبعير، وافتراش الذِّراعين حال السُّجود — كما مرّ سابقًا، واعتماد الذِّراعين على الرُّكبتين في السُّجود، أو الرُّكبتين على السَّاقين؛ لأنّ هذه لغات جسديَّة تشير إلى الكسل والخمول، والله يقول: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ، ونهي عن فرقعة الأصابع، ومس الحصى؛ لأنَّها لغة

جسديَّة تشير إلى تشتُّت ذهن الذَّات، وانشغالها وإشغالها الآخرين؛ ولذلك فالطَّمأنينة والاستواء والثَّبات على الحركة المناسبة للمقام أبلغ؛ لمناسبتها لمقتضى الحال الَّذي يتطلبه المقام، ونهي عن هيئات لا تليق بمقام العابد؛ لأنَّ الهيئات ذات دلالات، فشبه بعض ما نهي عنه بهيئات حيوانات؛ لكونها لا تليق بالمصلِّي المقبل على الله؛ تكريمًا له، كنقر الغراب، وإقعاء الكلب، وبسطه ذراعيه كما في حديث: "وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ"(١)؛ ليتفق القلب والقالب على السمو؛ فناسبت كلُّ لغة جسديَّة المقام الَّذي وردت به.

٢- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأوَّل:

الجلوس له دلالات بلاغيَّة يقصدها الجالس، ويفهمها مشاهد الحال، وسبق الحديث عن الجلوس بين السجدتين بدلالاته الجسديَّة واللَّفظيَّة، أمَّا الجلوس للتَّشهد الأوَّل الَّذي لا يكون إلا في الصَّلاة التي زادت عن ركعتين اثنتين؛ فهو يحمل هيئة مختلفة عن الجلوس بين السجدتين في صفة اليدين، ونظر العين، والذِّكر المتلفَّظ به، ويختلف عن الجلوس للتَّشهد الأخير في كون حقِّ الأوَّل الافتراش، وحقِّ الثاني التَّورُّك مع زيادات جسديَّة ولفظيَّة تدرس في موطنها، ومن الأحاديث التي ذكرت صفات الجلوس للتَّشهد الأوَّل حديث: "فَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ جَلَسَ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، وَنَصَبَ الْيُمْنَى، وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكعة الْآخِرَةِ، قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَنَصَبَ الْأُخْرَى، وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِهِ"(٢). وينتقل نظر البصر إلى السَّبَّابة حيث الإشارة بها، لحديث

(١) صحيح مسلم، باب: ما يقال في الرُّكوع والسُّجود، رقم:(٤٩٣) ١/٣٥٥.

(٢) صحيح البخاري، باب: سنة الجلوس في التشهد، رقم: (٨٢٨)، ١/١٦٥.

ابن عباس –رضي الله عنه– إلا عند التَّشهد فينظر إلى السَّبَّابة[1]، وحديث: "وَأَشَارَ بالسَّبَّابة لَا يُجَاوِزُ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ"[2]. وعَنِ ابْنِ عُمَرَ–رضي الله عنه– : "أَنَّ رَسُولَ الله –ﷺ– كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشهد وَضَعَ يَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُسْرَى، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رُكْبَتِهِ الْيُمْنَى، وَعَقَدَ ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ، وَأَشَارَ بِالسَّبَّابة"[3]. وعَنْ عامر بن عبدالله بن الزبير عن أبيه–رضي الله عنهم– قَالَ: "كَانَ رَسُولُ الله –ﷺ– إِذَا قَعَدَ يَدْعُو، وَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى فَخذه الْيُمْنَى، وَيَدَهُ الْيُسْرَى عَلَى فَخذه الْيُسْرَى، وَأَشَارَ بِإِصْبَعِه السَّبَّابة، وَوَضَعَ إِبْهَامَهُ عَلَى إِصْبَعِه الْوُسْطَى، وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ"[4].

فالجلوس للتَّشهد الأوَّل بثبات الأعضاء على صفة معينة يناسب الثَّناء على الله بلفظ مخصوص؛ وهو لغة تشير إلى عظمة من جُلس له تحيَّة وتعظيمًا، وبالوقت ذاته ثناء جسدي يعانق الثَّناء اللَّفظي لإنزال الجالس حاجته بين يدي الربِّ المنعم، فكان الثَّبات التَّام؛ لتحقيق التَّوحيد بعد الثَّناء، وانتظار الجالس العطاء، فهي جلسة دلت على الافتقار والحاجة، مقدمةً أسباب العطاء، أمَّا تحريك السَّبَّابة؛ فلفائدة، كما في الحديث: " فَرَأَيْتُهُ يُحَرِّكُهَا يَدْعُو

(١) الفقه الإسلامي وأدلته، ٨٧٥/٢.

(٢) السنن الصغرى للنسائي، باب: موضع البصر عند الإشارة وتحريك السبابة، رقم: (١٢٧٥)، ٣٩/٣، وبحاشيته حكْم الألباني أنَّه حسن صحيح.

(٣) صحيح م سلم، باب: صفة الجلوس في ا ّصلاة، وكيفية و ضع اليدين على الفخذين، رقم:(٥٨٠) ٤٨٠/١.

(٤) المرجع ا سابق، باب: صفة الجلوس في ا ّصلاة، وكيفية و ضع اليدين على الفخذين، رقم:(٥٧٩) ٤٠٨/١.

بِهَا"[1]، فهو ثناء جسديٌّ دلالته الدُّعاء والتَّوحيد، وقد صرَّح النَّبي -ﷺ- بدلالته على التَّوحيد عندما رأى رجلًا يدعو بأصبعيه مخالفًا بلغته الجسديَّة مقتضى الحال، فقال: "أَحِّدْ أَحِّدْ"[2] لأنَّ الإشارة بالأصبعين تنافي دلالة الأصبع الواحد، وهو الفهم الَّذي أشار إليه النووي (ت٦٧٦هـ) بقوله: "وينوي بالإشارة التَّوحيد والإخلاص"[3]، وقد تتسع الدِّلالة فتحتمل وصف الله بالعلوِّ، والإشارة إلى القبلة، وهنا تظهر كثافة المعنى.

وفي هذا المقام يظهر أسلوب بديعيٌّ بلاغيٌّ آخر للُّغة الجسديَّة، فيه صورة من صور الطِّباق بين لغتي الجسد في رفع السَّبَّابة وخفضها أثناء التَّشهد، فيتجلَّى الطِّباق الَّذي يظهر المعنى بين الضِّدَّين، فهذا الرَّفع والخفض هو الإثبات والنفي، بأنَّه لا إله إلا الله، فينفي الألوهيَّة عمَّن سواه، بما هو أوجز من اللَّفظ؛ حيث جاءت اللُّغة الجسديَّة دفعة واحدة، وازدادت البلاغة في توكيد اللُّغة الجسديَّة للُّغة اللَّفظيَّة حيث التَّلفظ بالشَّهادة قارن الإشارة.

أمَّا نظر العين لهذا الأصبع بدلًا من نظرها إلى موطن السُّجود، فهو من قبيل الالتفات البلاغيِّ؛ لكنَّه في اللُّغة الجسديَّة، وذلك مشعر بأهمية دلالة

---

(١) م. سند الإمام أحمد بن حنبل، م. سند الكوفيين، حديث وائل بن حجر، رقم: (١٨٨٧٠)، ٣١/١٦٠، وقال المحققون: حديث صحيح دون قوله: "فرأيته يحركها يدعو بها" فهو شاذ انفرد به زائدة وهو ابن قدامة (ت ١٦١) وذكر الباحث الزيادة؛ لكونها تفسيرا للُّغة الجسديَّة في تحريك السبابة عند زائدة المحدث والمفسر، يستأنس به.

(٢) سنن الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم: (٣٥٥٧)، ٥/٥٥٧، وبحاشيته حكْم الألباني أنه صحيح.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ٥/٨٢.

السَّبَّابة على إثبات التَّوحيد، ونفي الشريك، فلأجل التَّوحيد والاعتناء به صرف النَّظر إليه، وهذه الدِّلالة لم يغفل عنها الجاحظ لقوله :"ربَّ كناية تغني عن إفصاح، ولحظ يدلُّ على ضمير"[1]، فالبصر أحد منافذ القلب، يتمُّ به الإدراك الاعتقاديُّ، فشاركت العين السَّبَّابة بالبيان؛ ليقترن لفظ الشَّهادتين بالإشارة بالسَّبَّابة المؤكِّدة اللَّفظ، والعين التي تبصر ذلك، والقلب الَّذي يعتقده؛ فتبرز أهمية المقام؛ لإظهار أهمية التَّوحيد الَّذي صرفت العين إليه، فنلاحظ أن اختلاف مكان نظر العين في المقامين كان تبعًا لاختلاف الدِّلالة منهما، فوافق القلب الجوارح قولًا وعملاً واعتقادًا، وهذا ما يقتضيه الحال.

وقبض أصابع اليمنى، وإلقام كفِّ اليسرى ركبة الرجل اليسرى،كلُّها تحمل دلالات بلاغيَّة، فاليدان تختلف صفتهما حال التَّشهد عن صفتهما بين السجدتين؛ فهما وإن كانا في مكانهما حال الجلوس بين السجدتين، إلا أنَّهما تختلفان في الهيئة؛ تلبية لاحتياج المقام، ففي الجلوس للتَّشهد اقتضى التَّشهد وتوحيد الله الإشارة بالسَّبَّابة لتوافق اللَّفظ، فيشار بها رفعًا وخفضًا إثباتًا ونفيًا؛ دلالة على إثبات التَّوحيد ونفي الشريك، وأصابع اليمنى مقبوضة عدا السَّبَّابة؛ وهذا القبض لغة تحمل دلالة، فقد صورَّت قبضتها تمسُّكها بالتَّوحيد، والجزء يدلُّ على الكلِّ بوجه المجاز المرسل، فالبصر، والإشارة، والقبض بكلتا اليدين كلّها تظهر العناية بالتَّوحيد، فاشترك اللَّفظ والجسد في الدِّلالة، وتحقَّق الاعتقاد قولًا وعملًا، فقبض اليمنى جميع أصابعها سوى السَّبَّابة، يؤكِّده قبض اليد اليسرى بجميع أصابعها على الرُّكبة، كما في الحديث: "

(١) البيان والتبيين، ٧/٢.

وَيُلْقِمُ كَفَّهُ الْيُسْرَى رُكْبَتَهُ" فهذا من اليسرى توكيد لحال اليمنى، حيث أكدت الجارحتان قبضهما على التَّوحيد الَّذي يوافق إشارة السَّبَّابة حال التلفظ بالشهادة.

ونصب القدم اليمنى، وافتراش القدم اليسرى للجلوس بعد السجدتين من الركعتين الأوليين من حيث اللُّغة له دلالات؛ لكونه يحمل لغة تواصليَّة؛ فإنْ كانت الصَّلاة ثنائية فهو إيذان بنهاية الصَّلاة، يخاطب به الإمامُ المأمومَ والمسبوق، وإن كانت الصَّلاة مما زادت على الثُّنائية فهو يشير إلى أن هذا الجلوس بعد الرَّكعتين الأوليين من الثّلاثية أو الرّباعية ليس مقامًا للسَّلام، والفراغ من الصَّلاة، وليس للجلسة الأخيرة المعلنة الانصراف من الصَّلاة؛ لكنَّه جلوس مؤذن بركعة جديدة؛ لذلك دعا البيان إلى التباين في الهيئة بين هذه الجلسة وجلسة التَّشهد الأخير في الثّلاثية والرّباعية التي حقُّها التَّورُّك؛ لأنَّ المقام يستدعي التَّفريق بين الجلستين؛ فلكلٍّ هيئة جلوس دلالة؛ لذلك احتاجت الجلسة الأخيرة إلى التَّورُّك؛ أمَّا الثّنائية فلم تحتج ذلك؛ لزوال سببه؛ لأنَّها ركعتان ليس فيهما إلا تشهد واحد، فحملت تلك اللغات الجسديَّة بيانًا يعانق بيان اللَّفظ ويؤكِّده.

٣- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة الجسديَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأخير

في الجلوس دلالات بيانيَّة ولغة تواصليَّة، فإذا كان الجلوس للتَّشهد الأخير يشابه الجلوس للتَّشهد الأوَّل؛ فإنَّ في التَّشهد الأخير التَّورُّك بدلًا من الافتراش، مع زيادة في الذِّكر والسَّلام، فاجتمع في الأخير زيادتان جسديتان هما: التَّورُّك، والسَّلام عن اليمين وعن الشِّمال، وزيادتان لفظيَّتان هما: الصَّلاة

على النَّبي -ﷺ- والتَّلفظ بالتَّسليم، وسيدرسان في موطنهما، أمَّا الزيادات الجسديَّة فتدخل في باب الإطناب الجسديِّ، وصفة الجلوس وردت في الحديث :"وَإِذَا جَلَسَ فِي الرَّكعة الْآخِرَةِ، قَدَّمَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَنَصَبَ الْأُخْرَى، وَقَعَدَ عَلَى مَقْعَدَتِه." (١).

فالاختلاف بين جلستي التَّشهد الأوَّل والأخير في هيئة القدمين حال الجلوس لهما دلالتان، ذلك أن الصَّلاة التي فيها تشهدان يفرَّق بينهما في الجلوس بما يقتضيه الحال؛ ليكون بيانًا واضحًا للمتلقي سواء أكان تابعًا أم مسبوقًا، فحال الجالس للتَّشهد الأوَّل يفترش القدم اليسرى، أمَّا الجالس للتَّشهد الأخير فيجلس متوركًا، فالتَّورُّك لغة تخاطبٍ بين الإمام المرسل، والمأموم والمسبوق المستقبلَين، ويفعلها المنفرد، إشارةً إلى أنَّ هذا التَّشهد يقفوه السَّلام، وقد ينشئ هذا التَّورُّك لغة تواصليَّة عكسية إذا لم يقتضه الحال، فحينما يتورَّك الإمام في غير محلِّ التَّورُّك سهوًا، فإنَّه يستثير المأموم فينبِّه إمامه ليتمَّ؛ وهذا التأثير الَّذي نشأ كان استجابة للغة التَّورُّك، وما حملته من دلالة تخاطب جسديَّة، لكونها لا تكون في الصَّلاة الثّنائية؛ لأنَّه ليس فيها إلا تشهُّد واحد، فلم يستدع المقام التَّفريق.

أمَّا حركة السَّبَّابة في التَّوحيد، وكونها محل نظر العين بدلًا من موضع السُّجود، وصفة قبض أصابع اليمنى، وقبض كفِّ اليسرى على الرُّكبة اليسرى فقد سبق إيضاح دلالته، وما حمله من بيان في الموضوع السابق.

---

(١) صحيح البخاري، باب: سنة الجلوس في التشهد، رقم: (٨٢٨)، ١/١٦٥.

ويزيد في هذه المقام الالتفات عن اليمين والشِّمال للسَّلام، ويحمل دلالات:

أولاها: أنَّه لغة جسديَّة تعلن الفراغ من الصَّلاة، وحسن التخلص.

وثانيها: أن التَّسليمة الثانية ليست توكيداً للأولى؛ لأنَّ الأولى سلام ودعاء لمن هم في الصُّفوف اليمنى، والثانية سلام ودعاء لمن هم في الصُّفوف اليسرى، لحديث: "يُسَلِّمُ عَلَى أَخِيهِ مَنْ عَلَى يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ" (١)، وقد يزاد في السَّلام لفظة وبركاته؛ لمن على يمين الإمام إشارة إلى فضل ميامن الصُّفوف؛ لذلك فهم الصحابة -رضي الله عنهم- تلك اللُّغة، حتَّى وجدنا البراء -رضي الله عنه- يصرِّح بحرصه أن يكون عن يمين النَّبي -ﷺ- في الصَّف؛ ليظفر بالالتفاتة الأولى، معللًا ذلك بقوله: "أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ"(٢).

وفي غير الصَّلاة كثرت الإشارة باليد مع السَّلام، ففعلها بعض الصحابة -رضي الله عنهم- في الصَّلاة، فلما رأى النَّبي -ﷺ- بعض الصحابة يشيرون بأيديهم عند السَّلام من الصَّلاة قال لهم:" إذا سَلّم أحدُكم فليلتفتْ إلى صاحبِه، ولا يومئ بيدِه"(٣).

---

(١) صحيح مسلم، باب: الأمر بالسكون في الصَّلاة، والنهي عن الإ شارة باليد، ورفعها عند السَّلام، وإتمام الصُّفوف الأوَّل والتراص فيها والأمر بالاجتماع، رقم:(٤٣١) ٣٢٢/١.

(٢) المرج السابق، باب: استحباب يمين الإمام، رقم: (٧٠٩) ٤٩٢/١.

(٣) المرجع السابق، باب: الأمر بالسكون في الصَّلاة، والنهي عن الإ شارة باليد، ورفعها عند السَّلام، وإتمام الصُّفوف الأوَّل والتراص فيها والأمر بالاجتماع، رقم:(٤٣١) ٣٢٢/١.

وهذا التَّوجيه بيَّن أنَّ هذه الإشارة خالفت المقام، لكون الصَّلاة سكينة قلب وجوارح، وحركة اليدين للسَّلام في الصَّلاة دلالتها عدم السَّكينة والطُّمأنينة إذا لم يستدعها المقام، فناسب ذلك منعها، للسبب الَّذي كشفته رواية أحمد (ت٢٤١هـ):"اسْكُنُوا فِي الصَّلاة "[1].

ونلاحظ أنَّ الالتفات مكروه في الصَّلاة لغير حاجة؛ لكونه لغة دالة على الانصراف عمَّا هو فيه إلى الملتفت إليه، ولما استدعاه المقام لاختتام الصَّلاة جاء موافقا لمقتضى الحال؛ لدلالته على الفراغ من الصَّلاة، فكان مقامه الجلوس؛ لمناسبة الجلوس للانصراف بعد ألفاظ الثَّناء والدُّعاء، وانتظار الجالس العطاء.

ثانيا: الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس

تناول المطلب السابق دلالات اللُّغة الجسديَّة للجلوس في الصَّلاة بأنواعه، ومحاولة الكشف عن أسرارها البيانيَّة، والجلوس ظرف، ولكلِّ جلوس أذكار معيَّنة تناسبه، وهو من صور مطابقة الكلام لمقتضى الحال المبرِّزة بلاغته، وفي هذا الموطن سيتناول الباحث ذلك غائصًا في دقائق ألفاظه وتراكيبه؛ لاستنباط أسراره، ولذيد معانيه.

(١) مسند أحمد، حديث جابر ين سمرة، رقم: (٢٠٨٧٦)، ٣٤/ ٤٤٧، قال المحققون: إسناده صحيح على شرط مسلم.

١- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس بين السجدتين

مقام الجلوس له أذكار تناسبه فقد كان النَّبي -ﷺ- يطيل هذا الجلوس، ومما ورد أنَّه كان يقول بين السَّجدتينِ: "اللهمَّ اغفِر لي، وارحَمني، وعافِني، واهدِني، وارزُقني"(١).

وهذه الألفاظ اشتملت على الإيجاز بنوعيه: إيجاز القصر لقلة لفظها، وكثافة معناها، وإيجاز الحذف باستغنائها عن مفعولها؛ لتفيد العموم والاتساع، فإذا كان الجلوس يشير إلى التَّذلُّل، والحاجة، وانتظار العطاء، فالجمل الإنشائية الطلبية تقوي هذه الدِّلالة بتضافرها معها، فبدأت بالنِّداء، ثمَّ أفعال أمر مجازية غرضها الدُّعاء؛ لكونها وردت من العبد إلى ربه، فخرجت عن الإلزام الَّذي هو الأصل في فعل الأمر، ونلاحظ ياء المتكلم تتكرر، فهو مقام إنزال حاجة المصلِّي بربِّه، فلم يشرك أحدًا بضميره، بخلاف قوله: ﴿نَعْبُدُ﴾ و﴿نَسْتَعِينُ﴾ و﴿اهْدِنَا﴾، وربنا ولك الحمد، والسَّلام علينا، التي تتجلى فيها أهمية الأخوَّة الإيمانيَّة، أمَّا ياء المتكلم في دعاء الجلوس فهي تصوِّر انشغال العبد بذاته، فهو أسير خطاياه بين يدي ربِّه، فيقرُّ العبد معترفًا بذنبه؛ طالباً السِّتر والجبر، فقوله: اغفر؛ بمعنى استر وغط، وليس الإزالة، ويدلَّ عليه قول الخليل بن أحمد(ت١٧٠هـ): المِغْفَر؛ وقاية للرأس(٢)، فهي تستر ولا تزيل، وحذف المفعول به على سبيل إيجاز الحذف؛ ليكون عامًّا لكلِّ ذنب؛

(١) سنن أبي داود، باب: الدُّعاء بين الـ سجدتين، رقم: (٨٥٠)، ١٣٨/٢، وقال المحققان: إسناده حسن.

(٢) كتاب العين، باب: العين والفاء و (واي) معهما ع ف و، ف ع د، ع ي ف، ي ف ع مستعملات، مادة(عفو)، ٢٥٨/٢.

لذلك لم يقيده بمفعول به، وهذا المعنى تبعه انتقاء لفظيٌّ يناسبه، فالمغْفَر غطاء وستر؛ لذلك ناسبه سؤال الله الرَّحمة؛ لكون الذنب مستوراً غير ممحوٍّ.

والرَّحمة كلمة موجزة ذات دلالة واسعة، فكلُّ نعمة في الدُّنيا والآخرة هي رحمة من الله، فالهداية، والرسول، والقرآن، كلُّها رحمة، وتمتد الرَّحمة في دخول الجنَّة كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] ؛ لذلك نهج هذا النهج النَّبي موسى عليه السَّلام، ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، فسببُ المغفرةِ الرَّحمةُ؛ لذلك عطف السَّبب على المسبِّب.

والعافية كلمة عامّة لم تقيَّد بلفظ، وهي دِفاعُ الله عن العبد المَكارِه[١] في الدُّنيا والآخرة؛ لذلك علَّمه النَّبي -ﷺ- عمَّه العبَّاس -رضي الله عنه- لما سأله أيَّامًا مختلفة ما يدعو به ربَّه، فقال: "يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِ اللَّهَ، العَافِيَةَ فِي الدُّنيا وَالآخِرَةِ"[٢]، وسألها لأهل القبور لّما زارهم فقال:" أَسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ الْعَافِيَةَ"[٣].

والهداية جزء من الرِّزق وطريق إليه، بدأت الصَّلاة بطلبه واختتمت الصَّلاة بطلبه، فالهداية لفظة موجزة لم تقيد بلفظ؛ لتشمل مصالح الدُّنيا

---

(١) المرجع السابق، باب: الغين والراء والفاء معهما ر غ ف، غ ف ر، غ ر ف، ر ف غ، ف ر غ، ف غ ر مستعملات، ٤٠٦/٤.

(٢) سنن الترمذي، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، رقم: (٣٥١٤)، ٥٣٤/٥، وبحاشيته حكْم الألباني أنَّه صحيح.

(٣) صحيح مسلم، باب: ما يقال عند دخول القبور والدُّعاء لأهلها، رقم: (٩٧٥)، ٦٧١/٢.

والآخرة قبل الموت وبعد الموت، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ، سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد:٤-٥] ، وهذه الهداية جاءت في سورة الفاتحة متعدية بنفسها، وتم إيضاح دلالة ذلك فيما سبق.

وقوله: وارزقني، موجز في لفظه، وهو من صور ذكر العامِّ بعد الخاصِّ، فالرِّزق كلُّ نعمة تسدى في الدُّنيا والآخرة، فالمغفرة رزق، والرَّحمة رزق، والعافية رزق، والهداية رزق، وحُذف المفعول به؛ لتتسع الدِّلالة، فتشمل كلَّ نعمة في الدُّنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ويمتدُّ في الجنَّة كقوله: ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٤٠].

ويختصر دلالات الإيجاز التي سبق بيان ما استطعنا منها ما ورد في بعض روايات هذا الدُّعاء أنَّه -ﷺ- لما علَّم الرَّجل هذا الدُّعاء قال: "فإنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ".

وجميع هذه الألفاظ الابتهاليَّة يحيط بها ظرف الجلوس بين سجدتين؛ كانتا محلَّ إنزال الحاجات بربِّنا -جلّ شأنه- فكانت لحظة القرب والإجابة، وما الجلوس إلا انتظار السائل الفقير عطاء الغنيِّ الكريم.

٢- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأوَّل

جلوس التَّشهد مقام يحمل لغة، ومن دلالاته أن فيه تحيَّة وثناء وتعظيمًا ودعاء، يجتمع فيه القول والعمل والاعتقاد؛ وفيه ذكر مخصوص كما في الحديث "إِنَّ اللهَ هُوَ السَّلام، فَإِذَا جلسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاة فَلْيَقُلْ: التَّحيَّات

لِلَّه، وَالصَّلوات وَالطَّيِّبات، السَّلام عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبي وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُه، السَّلام عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَاد الله الصَّالحينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْد للَّه صَالح فِي السَّماء وَالْأَرْض، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمَّدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ "[1].

فالاستواء في الجلوس على هيئة مخصوصة مطْمئنة، مقام وافقه الثَّناء اللَّفظيُّ، ويعانقه الثَّناء الجسدي، فتمَّ توكيد أحدهما الآخر، وكلُّ فعل وقول في الصَّلاة هو تحيَّة وثناء على الله، فاجتمعت التَّحيَّة الفعليَّة الظاهرة في اللُّغة الجسديَّة، وتأكيدها التَّحيَّة اللَّفظيَّة الظاهرة في الثَّناء، من تكبير، وتحميد، وتسبيح، ودعاء، أمَّا لفظة التَّحيَّات؛ فهي تحيَّة لفظيَّة صريحة، وهي جمع دالٌّ على الكثرة، فأل التعريف للجنس، وتفيد العموم، ومثلها الصَّلوات والطَّيِّبات[2]، وجمل التَّحيَّات في مقام التَّشهد جاءت جملا خبريّة ببراعة استهلال، جامعة التَّحيَّات لله، من غير تقديم لما حقه التأخير فلم يقل: لله التَّحيَّات؛ بتقديم الجار والمجرور على المبتدأ؛ لأنَّ هذا أسلوب قصر يقتضي قصر التَّحيَّة على الله، والنصوص أثبتت أن التَّحيَّة تكون لله ولغير الله، فالله أثبت أن هناك تحيَّة لعباده، فقال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، بل السَّلام في الصَّلاة يمينًا ويسارًا تحيَّة، ولَّما كان لكلِّ ملك تحيَّة مخصوصة جعلت التَّحيَّات القوليَّة والفعليَّة لله، فجاء الجمع بدلًا من الإفراد،

(١) صحيح البخاري، باب: الدُّعاء في الـ صَّلاة، رقم: (٦٣٢٨)، ٧٢/٨. وينظر: صحيح مسلم، باب: التشهد في الصَّلاة، رقم: (٤٠٢)، ٣٠١/١.

(٢) ينظر في دلالة جمع المؤنث السالم على الكثرة: أسرار العربية، ص ٢٥٠.

كما أشار إلى ذلك النووي[1]، وحقًا فلغة التَّحايا الجسديَّة تتباين من الناس إلى عظمائهم، حسب ثقافاتهم، فمنها تحيَّة الوقوف؛ كتحيَّة العسكر، أو تحيَّة الرُّكوع، أو تحيَّة السُّجود، أو تحيَّة الجلوس، ومنها ما ارتبطت لغتها الجسديَّة بألفاظ الثَّناء، وعبارات الدُّعاء، وفي الصَّلاة جاءت كلُّها لله وحده، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه- قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلاة قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ التَّشهد: السَّلام عَلَى اللَّه، السَّلام عَلَى جبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه -ﷺ- : " لَا تَقُولُوا هَكَذَا، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ السَّلام، وَلكنَّ قُولُوا: التَّحيَّات للَّه..."[2].

ويظهر الإيجاز في عطف الصَّلوات والطَّيِّبات على التَّحيَّات، والاستغناء عن الجارِّ والمجرور؛ لدلالة المعطوف عليه على ذلك، من سبيل إيجاز الحذف، والصَّلوات بلغتها الجسديَّة وثناءاتها اللَّفظيَّة من التَّحيَّات ومن الطَّيِّبات، فخصت بالذِّكر؛ لكون المقام يقتضي ذلك، فهي وعاء هذا الذِّكر، وما فيها من أفعال وألفاظ مشتمل على التَّحيَّات لله، فاجتمع مع الفعل واللَّفظ الاعتقاد الخالص، والطَّيِّبات صفة ملئت كثافة دلاليَّة؛ لاتساع دلالتها لكلِّ طيب، والتَّحيَّات والصَّلوات الخالصة جزء من ذلك الطَّيب، فهي من عطف العامِّ على الخاصِّ، و"إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا"[3].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٤١١٦.

(٢) السنن الصغرى للنسائي، باب: إيجاب التشهد، رقم: (١٢٧٧)، ٣/٤٠، وبحاشيته حكْم الألباني أنه صحيح.

(٣) صحيح مسلم، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: (١٠١٥)، ٢/٧٠٣.

ثمَّ يأتي السَّلام بإيجاز لفظه وكثافة معناه، الَّذي تتجلى بلاغته في قوله تعالى: ﴿تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١]، فهو تحيَّة، ومن الله، ومباركة وطيِّبة، وفيه يطابق السَّلام مقتضى الحال، فجاء السَّلام في الصَّلاة على ثلاث صفات:

الصِّفة الأولى: السَّلام بصفته الكاملة؛ السَّلام عليك أيُّها النَّبي ورحمة الله وبركاته، فخُصَّ به النَّبي -ﷺ-الَّذي أتم الله به الدِّين والنِّعمة، ووصل خيره إلى الثقلين إلى أن تقوم الساعة.

الصِّفة الثانية: السَّلام عليكم ورحمة الله، السَّلام عليكم ورحمة الله، تحيَّة ودعاء من المصلِّي لمن عن يمينه وشماله حين الفراغ؛ لتحقيق الألفة والأخوَّة المثمرة الخير بين المسلمين.

الصِّفة الثالثة: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وبلاغة هذا أنَّه قليل لفظه، كثيرة بركته؛ لأنَّه ثبت أنَّ من دعا لأخيه في ظهر الغيب يقول له الملك: "وَلَكَ بِمِثْلٍ"(١)، فهو أقلُّ الصِّفات، لكنَّه اتسع بكونه سلامًا على كلِّ عباد الله الصالحين في السَّماء والأرض(٢).

(١) المرجع السابق، باب: فضل الدُّعاء للمسلمين بظهر الغيب، رقم: (٢٧٣٢)، ٢٠٩٤/٤.

(٢) صحيح البخاري، باب: الدُّعاء في الصَّلاة، رقم: (٦٣٢٨)، ٧٢/٨. وينظر: صحيح مسلم، باب: التشهد في الصَّلاة، رقم: (٤٠٢)، ٣٠١/١.

ولفظة عباد الله الصالحين اشتملت على العبودية السامية، التي أثبتت حاجة العبد إلى ربِّه، وتصرُّف ربُّه به؛ لذلك أضيفت إلى الله -جلّ شأنه- تشريفًا وتكريمًا، وزاد تكريمهم بوصفهم صالحين، وإلقاء السَّلام على عباد الله الصالحين فيه إيجاز قصر، ولقد علَّمه النَّبي -ﷺ- أصحابه لَّما سمعهم يقولون: السَّلام على جبريل وميكائيل، السَّلام على فلان وفلان، فجاءت لفظة عباد الله الصالحين حاملةً دلالة الإيجاز، وكثافة المعنى، "فإذا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّماء وَالْأَرْضِ..."(١)، والملائكة من أولئك الصالحين.

ثمَّ يرد الإطناب بذكر العامِّ بعد الخاصِّ لغرض التَّشريف والتَّأكيد، فالنَّبي -ﷺ- دُعي له مرَّتين، الأولى صراحة، والأخرى كونه منتميًا لعباد الله الصالحين، وكذلك ضمير الجماعة، فنا المتكلمين ذكرت صراحة، وأخرى ضمنًا في عباد **الله** الصالحين، فاجتمع في التَّعبيرين العناية والتَّأكيد.

وحذف ياء النِّداء إيجاز مشعر بقرب النَّبي -ﷺ- وحضوره الدائم في الذِّهن، وعاضد هذا المعنى كاف الخطاب التي يخاطب بها الحاضر، وهو من رفع الذِّكر كما في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، ومن إجلال النَّبي -ﷺ- أنَّه وُصف في التَّحيَّات بالنُّبوَّة، والرِّسالة، وسمي باسمه صراحة، وكلُّ ذلك يُبيِّن الحفاوة بهذا النَّبي الكريم ﷺ.

---

(١) المرجع السابق، باب: الدُّعاء في الصَّلاة، رقم: (٦٣٢٨)، ٧٢/٨. وينظر: صحيح مسلم، باب: التشهد في الصَّلاة، رقم: (٤٠٢)، ٣٠١/١.

وفي النَّظم أيضًا نرى مجيء السَّلام اسمًا معرفًا بأل للاستغراق، ومبتدأً تبعه خبره، ليكوِّن الجملة الاسميَّة الخبريَّة الدَّلة على ثبوت معنى السَّلام، واستقراره للمسَلَّم عليهم، وهذا المعنى لا يتأتَّى لو جاء السَّلام فعلًا؛ لدلالة الفعل على التجدد، ولازم التجدد انقطاع.

ومعنى السَّلام؛ السَّلامة من كلِّ أذى، وهو اسم لله يطلب من الله؛ لذلك جاء التَّوجيه النَّبويُّ بأنَّ الله هو السَّلام، وهو لفظ موجز ذو معنى كثيف، وإحدى دلالات أي تحيَّة السَّلامة، وبها صرَّح عنترة (ت٢٢ق.هـ) في تحيَّته بقوله:

[illegible] (١)

وبناء تراكيب جمل التَّحيَّات عظيم، فيه منهج تعليميٌّ في كيفيَّة دعاء العبد ربَّه جلّ شأنه، حيث بدأ بالثَّناء على الله، ثمَّ الصَّلاة على رسول الله، ثمَّ جاء الدُّعاء متدرجًا حسب الأولى؛ فدُعي للنَّبي -ﷺ- لعظيم فضله على أمَّته، قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]، لذلك قدِّم، ثمَّ تبعه الدُّعاء للذَّات وللإخوة الصالحين، وإلى هذا المعنى أشار ابن القيم(٢)، وبناء التَّحيَّات بجملها، وتراكيبها؛ كبناء سورة الفاتحة التي بدأت بالثَّناء على الله بأفعاله، وأسمائه، ثمَّ الدُّعاء، والتَّأمين، بل في الفاتحة، والتَّحيَّات، جاءت لفظة الجلالة الله الكلمة الثَّانية؛ لتحقيق توحيد الألوهيَّة

(١) ديوان عنترة، ص ١٨٧.

(٢) ذوق الصَّلاة عند ابن القيم، ص٤٣.

التي جاء الدِّين لإقرارها، فقرَّر الألوهيَّة في الاستهلال؛ لتكون من أوَّل ما يسمع فيعلق في الذِّهن، وعند الانتهاء؛ لتكون من آخر ما يبقى، وفيما بينهما للتَّأكيد، ووردت لفظة الربِّ بين ذين الموضعين، في الفاتحة والرُّكوع والرَّفع والسُّجود للتّأكيد مع البرهان على استحقاق الله العبوديَّة، فهو ربُّهم الغنيُّ عنهم، وهم العباد المحتاجون ربوبيَّته.

وختْم الصَّلاة بالسَّلام، والصَّلاة على النَّبي أدب في الدُّعاء، وفيه حسن الانتهاء؛ لكونه يُتحرَّى به الإجابة، وهذا البناء من صور مطابقة الكلام لمقتضى الحال، كما في الحديث: "إذا دعا أحدكم؛ فليبدأ بتحميد ربِّه، والثَّناء عليه، ثمَّ ليصلِّ على النَّبي -ﷺ- ثمَّ يدعو بما شاء." (١).

ومجيء لفظي التَّشهد الدَّالين على توحيد الله، والإيمان بسيد المرسلين، هو الغرض من كلِّ عبادة، فالتَّشهدان جاءا في الأذان والإقامة، وختمت الصَّلاة بهما؛ لتستمرَّ الحياة عليهما. فجمعت الصَّلاة عظيم الاستهلال بتقرير توحيد الألوهيَّة، والربوبية، والأسماء والصِّفات، واعتراف العبد ودعائه، وتأكيد الجوارح ذلك قولًا وعملًا واعتقادًا، وهو ما يسمَّى عند البلاغيين ببراعة الاستهلال، وأحسنه ما ناسب المقصود كما هو الحال هنا(٢)، ومثل هذا عظيم التخلص بعظيم ألفاظ الإخلاص بعد عبارات التمجيد لله، والصَّلاة

---

(١) م سند أحمد، م سند ف ضالة بن عبيد الأن صاري، رقم: (٢٣٩٣٧)، ٣٦٣/٣٩، وقال المحققون: إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

(٢) ينظر: الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم،١٢٩/١.

على رسول الله ﷺ، فقد ختمت الصَّلاة بالثَّناء والدُّعاء والسَّلام، وهو ما يسمى عند البلاغيين ببراعة المقطع؛ لكونه انتهاء آذن بانتهاء الكلام(١)، و بلاغته في كونه آخر ما يعيه السمع، ويرتسم في الذهن(٢).

وتظهر صورة للالتفات من المخاطب إلى الاسم الظاهر، وذلك في خطاب النَّبي -ﷺ- بضمير الحاضر في قولنا: السَّلام عليك أيها النَّبي؛ لكونه حاضرًا في الأذهان، ثمَّ عدل إلى الاسم الظاهر في قولنا: وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله؛ لترسيخ العقيدة في الغيب والشَّهادة، فجمع التركيبان استحضاره في الأذهان بخطابه، والإيمان به وإن لم نره حقيقة، فهو أسلوب يصلح لمن رأى النَّبي -ﷺ- ومن لم يره.

وصورة من صور تلوين الكلام والاختلاف في العدد في صيغة الضَّمير؛ لكونها تدور في حمى ضمير المتكلم، فالضَّمير الأوَّل جاء للمتكلمين بقولنا: علينا وعلى عباد الله الصالحين، ثمَّ انتقل إلى ضمير المتكلم فاعل الفعل أشهد؛ وذلك لكون الأوَّل مقام دعاء، تستحضر فيه روح الجماعة؛ لأنَّ الدِّين للأمَّة وهم فيه إخوة، والدُّعاء لهم من النُّصح، أمَّا لَمَّا كان المقام مقام اعتقاد قلبيٍّ، جاء ضمير المتكلم؛ ليكشف ما يختلج في الصَّدر؛ لأنَّ الإنسان يعلم حال قلبه، ويخفى عليه ما في صدور الآخرين، فكان ضمير المتكلم في هذا المقام

(١) ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني، ٣٠٢/٤.

(٢) ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ٣٤٣/٢.

أبلغ، و لم تأت نشهد مسندة إلى ضمير المتكلمين إلا في أول آية من سورة المنافقون، فكذَّبهم الله.

٣- الدِّلالة البلاغيَّة للُّغة اللَّفظيَّة في مقام الجلوس للتَّشهد الأخير

الصَّلاة غير الثّنائية التي فيها تشهدان، سبق بيان دقائق ألفاظ التَّشهد الأوَّل وتراكيبه فيها آنفًا، أمَّا في التَّشهد الأخير فتعاد جمل التَّشهد الأوَّل، ويزاد ما ورد فيه قوله -ﷺ-: "قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى محمَّد، وَعَلَى آلِ محمَّد، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى محمَّد، وَعَلَى آلِ محمَّد، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ"(١).

ففي هذا الموطن يُستكمل بيان ما لم يتمَّ بيانه آنفًا، ففي الصَّلاة على النَّبي -ﷺ- تظهر تسميته باسمه مرَّتين، وسُبق اسمُه بلفظة النَّبي، ولفظة عبده، ولفظة رسوله، وتكرير الاسم مع الصِّفات دالٌّ على عظيم مكانة هذا النَّبي محمَّد عبدالله ورسوله -ﷺ- لذلك قال الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذا الذِّكر أيضا من وعد الله نبيه -ﷺ- بقوله:﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح:

(١) صحيح البخاري، باب: حدثنا موسى بن إسماعيل، رقم: (٣٣٧٠)، ١٤٦/٤.

٤]، فجرى ذكره في كلِّ شهادة، في الصَّلاة، والأذان، والإقامة، وغيرها، فلم ينقطع ذكره في أرض.

ولفظة آل تحمل كثافة دلالية؛ لتشمل أهل النَّبي -ﷺ- ومن تبعه، وقد استعمل القرآن إطلاق الآل على الأتباع بقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وزوجه ليست منهم؛ لإيمانها، وازداد النَّبي -ﷺ- فضلًا بتسمية أبيه بأبي الأنبياء إبراهيم -عليه وعليهم السَّلام- باسمه مرَّتين، فدلَّ على مكانته؛ فتكريمه من تكريمه، كما أنَّه لم يُذكر رسول غيرهما، وذلك يشير إلى أنَّ وراء ذلك التصريح إشاراتٍ بلاغيَّة أعظمها تكريم النَّبي محمَّد -ﷺ- بعد أن ذكرت صفاته بالصَّلاة على أبيه إبراهيم عليه السَّلام، وآل إبراهيم، والدُّعاء لهم بالبركة، فأثبتت أنَّ هذه الكرامة موروثة من كابر عن كابر، ليست من سلالة قريبة، وقد يكون ذكر إبراهيم دون غيره لأسباب:

الأوَّل: أن بعثة نبيِّنا محمَّد -ﷺ- هي دعوة أبينا إبراهيم -عليه السَّلام- حيث قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

الثَّاني: التصريح بأن النَّبيَّ -ﷺ- والمؤمنين هم أولى الناس بإبراهيم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ [آل عمران: ٦٨].

الثَّالث: ما ذكره العينيُّ (ت٨٥٥هـ) من أنَّ إبراهيم-عليه السَّلام- هو الَّذي سلَّم على أمَّة محمَّد ليلة الإسراء والمعراج، وهو الَّذي أرشدهم من بين سائر الأنبياء، فكان جزاء إحسانه ذكره، ودعاء المصلِّين له في كلِّ صلاة، أو لأنَّه لما انتهى من بناء الكعبة دعا لأمَّة محمَّد ﷺ، وأهلُه وأولادُه دعوا بهذه الدعوة، وذكر نص الدُّعاء[1].

الرَّابع: عدَّة أسباب ذكرها السخاويُّ (ت٩٠٢هـ) منها[2]: أنَّه هو الَّذي سمانا المسلمين، لأنَّه أبونا بقوله: [﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾ [الحج: ٧٨] أو لأنَّه دعا للمؤمنين يوم يقوم الحساب، أو استجابة لدعوة إبراهيم الَّذي قال: ﴿ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

وأشكلت الكاف على بعض العلماء، فقيل: للتَّشبيه، وقيل: للتَّعليل أو للإعلام، جومن قال للتَّشبيه علم أنَّ المشبه به متقرِّر عند البلغاء أنَّه أكملُ من المشبَّه، ومن المعلوم أنَّ النَّبي -ﷺ- أفضل الأنبياء والمرسلين، والصَّلاة عليه أفضل، وقيل: ليست الكاف لتَشبيه الصَّلاة على النَّبيِّ محمَّد بالصَّلاة على إبراهيم؛ لكنَّها تشبيه الصَّلاة على آل محمَّد بالصَّلاة على إبراهيم وآله[3].

---

(١) ينظر: شرح سنن أبي داود، ٤/٢٦٠.

(٢) ينظر: القول البديع في الصَّلاة على الحبيب الشَّفيع، ص ٩٢-٩٦.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص ٩٣-٩٦.

والصَّواب كما يرى الباحث أنَّ القوَّة والكمال ليس على إطلاقه في المشبَّه به، بل قد تكون في المشبَّه، وحينها يأتي التَّشبيه لوجه من الوجوه، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وذلك من جهة عقليَّة وعقائديَّة، ومن جهة لفظيَّة بورود لفظة أشدَّ؛ ولهذا فقد صلَّى كلُّ مصلٍّ على النَّبيِّ -ﷺ- وآله مرَّتين، الأولى صراحة، والثَّانية؛ لكونه وآله من آل إبراهيم عليه السَّلام، فجاء ذكر العامِّ بعد الخاصِّ على سبيل الإطناب؛ للاهتمام بمكانته -ﷺ- والتأكيد على شرفه ومجده.

والبركة عطاء ونماء، وهي تأكيد للصَّلاة عليهم، وذات كثافة معنويَّة حيث الزِّيادة، والفعل يدلُّ على التَّجدد والاستمرار، وكلا الدُّعاءين يختمان باسمين لله جليلين، سبقا بأداة توكيد، وخطاب نابع من الأسلوب البلاغيِّ، حيث الالتفات من الاسم الظاهر في لفظ الجلالة في قولنا: التَّحيَّات لله، إلى ضمير المخاطب في قولنا: إنك؛ الَّذي يستشعر به العبد أنَّ الله أمامه، فحقَّق غرضه من العبادة حيث القرب من الله، فخاطبه باسمين جليلين هما حميد مجيد، فجاء الاسمان على صيغة المبالغة الحقَّة فعيل، حيث الكثرة، التي يستحقُّها من له كلُّ المحامد، فهو المحمود، وهو الحميد، وله المجد المطلق، وهذا الدُّعاء مناسب ختمه بذين؛ ففيه تأثر بالقرآن الكريم بقوله: ﴿رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]، فذُيِّل الدُّعاء بما ذُيِّلت به الآية، فتعانقت السُّنة بالقرآن، واتفقت البلاغتان، وصيغتا المبالغة مناسبة للصَّلاة، وبركتها المتزايدة؛ ومناسبة لتخليد ذكر النَّبيِّ -ﷺ- وآله،

وإبراهيم -عليه السَّلام- وآله في كلِّ صلاة، وعلى لسان كلِّ مصلٍّ، وما هذا إلا حمد لهم، وما اسم محمَّد إلا بكثرة الحمد، وكثرة الحمد تناسب الحميد، فنالوا المجد والشرف الرفيع الَّذي فرضه علينا حميد مجيد، حَمِد محمَّدا وآله، وأباه إبراهيم وآله بصلاته عليهم، ومجَّده بإعلاء ذكره وتشريفه، فما أجمل هذه الأساليب! التي تكاتفت وتعانقت؛ لتبرز المعنى بأسمى سبيل.

الخاتمة

الحمد لله الَّذي يسرَّ لي تمام هذا البحث، حتَّى وصلت فيه إلى نهاية المطاف، ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]، وأسأله أنْ يتقبله، وأنْ يجعله نافعًا لعامَّة المسلمين، ولطالبي العلم، وأنْ يكتب الأجر لكلِّ من أسهم في تنقيحه ونشره، وأصلِّي وأسلِّم على قدوتنا نبيِّنا -ﷺ- الَّذي ذكرناه في الصَّلاة، وعلى آله ومن والاه، وسلَّم تسليما كثيرًا، أمَّا بعد: فقد توصل البحث في مراحله إلى النَّتائج التَّالية:

١- كلُّ إنسان يمتلك لغة أخرى غير التي يتكلَّم بها، هي اللُّغة الجسديَّة التي تعبِّر بلا لغة لفظيَّة، أو تستعين بها أحيانًا، وقد تستعين اللُّغة اللَّفظيَّة على تمام معناها باللُّغة الجسديَّة دون تتمَّة اللَّفظ.

٢- اللُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة في الصَّلاة مطابقة لمقتضى الحال، فقراءة القرآن في القيام، وتعظيم الرب في الرُّكوع، والدُّعاء في السُّجود؛ لكونه أبلغ حالات التَّذلُّل، ولمَّا خالف أحد المصلِّين المطابقة برفعه أصبعيه في التَّشهد قال ﷺ: "أحِّد أحِّد"(١).

٣- اللُّغة الجسديَّة لها دلالات بلاغيَّة تفهم من السِّياق، فرفع اليدين للتَّكبير إخلاص واستسلام، والتَّورُّك للتَّفريق بين التَّشهدين، ورفع السَّبَّابة للتَّوحيد.

٤- اللُّغة الجسديَّة فيها صور من علم المعاني، والبيان، والبديع، فالإطناب مثلا في هيئة الجلوس للتَّشهد الأخير في الصَّلاة التي زادت عن

---

(١) سنن الترمذي، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم: (٣٥٥٧)، ٥/٥٥٧، وبحاشيته حكْم الألباني أنَّه صحيح.

الثّنائية، حيث التّورُّك زيادة في هيئة الجلوس عن الافتراش الّذي يكون في الجلوس للتّشهد الأوّل في الثّنائية. وكالطّباق في اللُّغة الجسديَّة بين الجهريَّة والسريَّة، والقيام والجلوس، ورفع السَّبَّابة للتَّشهد وخفضها، ورفع اليدين للتَّكبير مستقبلة القبلة، وللدُّعاء مستقبلة الوجه، وكتشبيه الإمامة الصُّغرى بالإمامة الكبرى.

٥- تتعدَّد دلالات اللُّغة الجسديَّة ويكشفها المقام والسِّياق، فاليدان مثلا في مقام التّكبير ترفعان استسلامًا، وتوضعان على الصّدر حال القيام للثّبات؛ ولكونهما جارحتي عمل حبست إحداهما الأخرى للصلاة عما سواها؛ طلبًا للخشوع، وفي الرُّكوع توضع على الرُّكبتين استعانة وتقوية للاطمئنان والاستواء، وفي التَّشهد تتحرك سبابة اليمنى توحيدًا، وتقبض اليمنى واليسرى تمسكًا بالتَّوحيد، وفي السُّجود تسجدان مستقبلتين القبلة بأصابعهما تعبدًا وتذللًا.

٦- التَّرادف بين اللُّغة الجسديَّة واللَّفظيَّة، ففي مقام سهو الإمام يكون التَّنبيه لدى الرِّجال باللُّغة اللَّفظيَّة التسبيح، ولدى النِّساء باللُّغة الجسديّة التّصفيق، وفي اللُّغة الجسديّة يكون المشترك اللّفظيُّ، فأصبع السَّبّابة يشار به للتّوحيد، ولتحديد الشيء، ويستعمل في غير الصّلاة للسبِّ والتّهديد والوعيد، وهكذا بما يفهم من السِّياق.

٧- أسلوب الاستدراج، أسلوب حجاجيٌّ للإقناع، ظهر في اللُّغة اللَّفظيَّة وفي اللُّغة الجسديَّة، ففي اللُّغة اللَّفظيَّة نجد في الفاتحة بعد أن عرَّفنا الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه وصفاته قلنا معترفين ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥] ، وفي اللُّغة الجسديَّة الاستدراج بدأ في القيام ثمَّ تدرَّج

تأكيده حتَّى انحنت ظهورنا راكعين، ثمَّ خرّينا ساجدين على أشرف عضو، في أخفض موطنٍ على الأرضِ، لربِّنا الأعلى.

٨- الطِّباق بين اللُّغة الجسديَّة واللُّغة اللَّفظيَّة، فالسُّجود كان على الأدنى من الأرض، واللِّسان يسبح الأعلى في السَّماء.

٩- الطِّباق الجسديُّ بين المشروع من أفعال الصَّلاة والمنهيِّ عنها، فنجد الطِّباق بين ثبات اليدين والنَّهي عن كثرة حركتهما، وبين النَّظر إلى موطن السُّجود، أو السَّبَّابة، والنَّظر إلى السَّماء، وبين الانتقال إلى السُّجود بطمأنينة، وإلقاء الجسد على الأرض كبروك البعير، وبين القوَّة والنَّشاط في أفعال الصَّلاة، والتثاؤب الدَّال على الكسل.

١٠- توكيد اللُّغة الجسديَّة للُّغة الجسديَّة؛ كما في تأكيد اليد اليسرى لحال اليد اليمنى، حيث اليمنى قبضت بأصابعها سوى السَّبَّابة، واليسرى قبضت على الرُّكبة حال التَّشهد، وتوكيد اللُّغة الجسديَّة للُّغة اللَّفظيَّة ؛ كرفع اليدين مع التلفظ بالتَّكبير، فقد يتفقان في الزمن، وقد يسبق أحدهما الآخر كما مر في البحث.

والباحث يوصي بالاهتمام باللُّغة الجسديَّة باعتبارها لغة تواصليَّة ثانية، ومنها دراسة بلاغة المتمِّمات الخارجة عن الجسد ؛كالنَّظارة ولبسها، والقلم والعصا،كما تحدث الجاحظ عن الثوَّب والسَّيف.

المراجع

- القرآن الكريم.
- أسرار البلاغة، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، قرأه وعلق عليه: محمود محمَّد شاكر، طبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة، د.ط، د.ت.
- أسرار العربية، لعبد الرحمن بن محمَّد بن عبيد الله الأنصاري، أبي البركات، كمال الدِّين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، لإبراهيم بن محمَّد بن عربشاه عصام الدِّين الحنفي، تحقيق وتعليق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ط، د.ت.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدِّين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر – بيروت، د.ط،١٤٢٠ هـ.
- البلاغة الصوتية في القرآن والكريم، د. محمَّد إبراهيم شادي، الرسالة، ط١، ١٤٠٩-١٩٨٨م.
- البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكنَّاني بالولاء، الليثي، أبي عثمَّان، الشهير بالجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، د.ط، ١٤٢٣ هـ.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، لعبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تقديم وتحقيق: الدكتور حفني محمَّد شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ط، د.ت.
- الجامع في أحكام صفة الصَّلاة من الخروج إليها حتَّى الانصراف منها، لأبي عمر دبيان بن محمَّد الدبيان، د.م، ط١، ١٤٤١هـ.

- حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدِّين التفتازاني، لمحمَّد بن عرفة الدسوقي تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، د.ت.
- الخصائص، لأبي الفتح عثمَّان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامَّة للكتاب، ط٤، د.ت.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمَّد الفارسي الأصل، الجرجاني، تحقيق: محمود محمَّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، ط ٣، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.
- ديوان أبي دؤاد الإيادي، جمع وتحقيق: أنوار محمود الصالحي، ود. أحمد هاشم السَّامرَّائي، دار العصماء، سورية، دمشق، ط١، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: د. عبدالمنعم خفاجي، ود. عبدالعزيز شرف، المكتبة الأزهرية، د.ط، د.ت.
- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمَّد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣م
- ذوق الصَّلاة عند ابن القيم – رحمه الله – عادل بن عبد الشكور بن عباس الزرقي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩م.
- روح المعاني، شهاب الدِّين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية — بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمَّد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.
- سنن الترمذي، لمحمَّد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبي عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمَّد شاكر، ومحمَّد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة

عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥م.

- السنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبي غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط٢، ١٤٠٦ – ١٩٨٦.
- شرح سنن أبي داود، لأبي محمَّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدِّين العينى، تحقيق: أبي المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.
- شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- صحيح البخاري، صحيح البخاري، لأبي عبد الله، محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، عناية: د. محمَّد زهير الناصر، ترقيم الأحاديث لمحمَّد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، لأحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدِّين السبكي، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لأبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمَّد محيي الدِّين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، لمحمَّد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمَّد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- الفقه الإسلامي وأدلته (الشامل للأدلة الشرعية والآراء المذهبيّة وأهم النَّظريّات الفقهيّة وتحقيق الأحاديث النّبويّة وتخريجها)، أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر - سوريّة — دمشق، ط١٢، د.ت.
- فقه اللُّغة وسر العربية، لعبد الملك بن محمَّد بن إسماعيل أبي منصور الثعالبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م
- القول البديع في الصَّلاة على الحبيب الشَفيع، لشمس الدِّين أبي الخير محمَّد بن عبد الرحمن بن محمَّد السخاوي، دار الريان للتراث، د.ط، د.ت.
- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- الكتاب، لسيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمَّان بن قنبر الحارثي بالولاء، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.
- الكشاف، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي — بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.
- اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمَّان بن جني الموصلي، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية — الكويت، د.ط، د.ت.
- ليس في كلام العرب، الحسين بن أحمد بن خالويه، لأبي عبد الله، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، مكة المكرمة، ط٢، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- المثل السائر في دب الكاتب والشاعر، لضياء الدِّين بن الأثير، نصر الله بن محمَّد، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ــ القاهرة، د.ط، د.ت.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.
- معالم السنن، شرح سنن أبي داود، لأبي سليمان حمد بن محمَّد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي، المطبعة العلمية – حلب، ط١، ١٣٥١ هـــ – ١٩٣٢م.
- مفاتيح الغيب، لأبي عبد الله محمَّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدِّين الرازي خطيب الري، دارإحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠ هـــ.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لأبي زكريا محيي الدِّين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢ه.
- نقد الشعر، لقدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبي الفرج، مطبعة الجوائب – قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢ه.
- النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، لعلي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبي الحسن الرماني، تحقيق: محمَّد خلف الله، د. محمَّد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط٣، ١٩٧٦م.
- ينظر: تلخيص المفتاح، للشيخ محمَّد بن عبدالرحمن القزويني، مكتبة البشرى، كراتشي – باكستان، ط١، ١٤٣١ه-٢٠١٠م.

المراجع المترجمة

- أسس السيمائية، دانيال تشاندلر، ترجمة: د. طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة المدعومة من مؤسسة محمَّد بن راشد آل مكتوم، بيروت، لبنان، د.ط، أكتوبر ٢٠٠٨م.
- السيميائيات أو نظرية العلامات، جيرار دولودال، ترجمة: عبدالرحمن بوعلي، دار الحوار، اللاذقية – سوريا، ط١، ٢٠٠٤م.
- لغة الجسد كيف تقرأ أفكار الآخرين من خلال إيماءاتهم، آلن بيز (Allan pease)، تعريب: سمير شيخاني، الدار العربية للعلوم،، لبنان – بيروت، ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.
- لغة الحركات، ناتالي باكو (Natha Lie pacout) تعريب: سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٢٥ هـ -١٩٩٥م.
- ماهي السيمولوجيا؟، برنار توسان، ترجمة: محمَّد نظيف، مكتبة أفريقيا الشرق، ٢٠٠٠، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٩٤م.

References:

- al-Qurʾān al-Karīm.
- Asrār al-balāghah, li-Abī Bakr ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad al-Fārsī al-aṣl, al-Jurjānī al-Dār, qaraʾahu wa-ʿallaq ʿalayh: Maḥmūd Muḥammad Shākir, ṭabaʿat al-Madanī bi-al-Qāhirah, Dār al-Madanī bi-Jiddah, d.ṭ., d.t.
- Asrār al-ʿArabīyah, li-ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad ibn ʿUbayd Allāh al-Anṣārī, Abū al-Barakāt, Kamāl al-dīn al-Anbārī, Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, ṭ1, 1420H - 1999M.
- al-Aṭwal sharḥ talkhīṣ Miftāḥ al-ʿulūm, li-Ibrāhīm ibn Muḥammad ibn ʿArabshāh ʿIṣām al-dīn al-Ḥanafī, taḥqīq wa-taʿlīq: ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah, Bayrūt – Lubnān, d.ṭ., d.t.
- al-Baḥr al-muḥīṭ fī al-tafsīr, li-Abī Ḥayyān Muḥammad ibn Yūsuf ibn ʿAlī ibn Yūsuf ibn Ḥayyān Athīr al-dīn al-Andalusī, taḥqīq: Ṣidqī Muḥammad Jamīl, Dār al-Fikr – Bayrūt, d.ṭ., 1420H.
- al-Balāghah al-ṣawtīyah fī al-Qurʾān wa-al-Karīm, Dr. Muḥammad Ibrāhīm Shādī, al-Risālah, ṭ1, 1409-1988M.
- al-Bayān wa-al-tabīyīn, ʿAmr ibn Baḥr ibn Muḥabb al-Kinnānī bi-al-walāʾ, al-Laythī, Abū ʿUthmān, al-shahīr bi-al-Jāḥiẓ, Dār wa-Maktabat al-Hilāl, Bayrūt, d.ṭ., 1423H.
- Taḥrīr al-taḥbīr fī ṣanāʿat al-shiʿr wa-al-nathr wa-bayān iʿjāz al-Qurʾān, li-ʿAbd al-ʿAẓīm ibn al-Wāḥid ibn Ẓāfir ibn Abī al-Iṣbaʿ al-ʿAdwānī, taqdīm wa-taḥqīq: al-Duktūr Ḥafnī Muḥammad Sharaf, al-Jumhūrīyah al-ʿArabīyah al-Muttaḥidah - al-Majlis al-Aʿlá li-al-Shuʾūn al-Islāmīyah - Lajnat Iḥyāʾ al-Turāth al-Islāmī, d.ṭ., d.t.
- al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, li-Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad ibn Muḥammad al-Ṭāhir ibn ʿĀshūr al-Tūnusī , al-Dār al-Tūnusīyah li-al-nashr – Tūnis , d.ṭ., 1984M.

- al-Jāmiʿ fī aḥkām ṣifat al-ṣalāt min al-khurūj ilayhā ḥattá al-ansirāf minhā, li-Abī ʿUmar Dubyān ibn Muḥammad al-Dubyān, d.m., ṭ1, 1441H.
- Ḥāshīyah al-Dasūqī ʿalá Mukhtaṣar al-Maʿānī li-Saʿd al-dīn al-Taftāzānī, li-Muḥammad ibn ʿArfah al-Dasūqī taḥqīq: ʿAbd al-Ḥamīd Hindāwī, al-Maktabah al-ʿAṣrīyah, Bayrūt, d.ṭ., d.t.
- al-Khaṣāʾiṣ, li-Abī al-Fatḥ ʿUthmān ibn Jinnī al-Mawṣilī, al-Hayʾah al-Miṣrīyah al-ʿĀmmah li-al-Kitāb, ṭ4, d.t.
- Dalāʾil al-iʿjāz fī ʿilm al-maʿānī, li-Abī Bakr ʿAbd al-Qāhir ibn ʿAbd al-Raḥmān ibn Muḥammad al-Fārsī al-aṣl, al-Jurjānī, taḥqīq: Maḥmūd Muḥammad Shākir Abū Fah
- r, Maṭbaʿat Maḥmūd ibn Muḥammad ibn Aḥmad Shākir – Miṣr, 1346H.
- al-Māzīnī wa-madhāhibuhu al-ʿālamīyah, Dr. Aḥmad Khālid al-Tawfīq, Dār al-Fikr al-ʿArabī, ṭ1, 1411H.
- Fiqh al-lughah wa-asrāruhā, li-Muḥammad ibn ʿUbayd Allāh ibn ʿAbd Allāh ibn Yūsuf al-Mazīnī, Dār al-Maʿārif – Miṣr, ṭ1, d.t.
- al-Nūr al-laṭīf fī tafsīr al-Qurʾān al-Karīm, Dr. ʿAbd Allāh ibn ʿAbd al-Raḥmān ibn Ghānim al-Qahtānī, Dār al-ʿĀṣimah, Riyāḍ, d.ṭ., 1423H.
- al-Sabʿ al-muʿallaqāt maʿa tafsīr wa-sharḥ al-Akhfash wa-Ibn Qutaybah, taḥqīq: ʿAbd al-Salām Muḥammad Hārūn, Dār al-Maʿārif – Miṣr, d.t.
- al-Sihāḥ al-Jawharī, li-Ismāʿīl ibn Ḥammād al-Jawharī, ṭ3, d.ṭ.
- Dīwān ʿUmar ibn Abī Rabīʿah, taḥqīq: Dr. ʿAbd al-Munʿim Khifājī, wa Dr. ʿAbd al-ʿAzīz Sharaf, al-Maktabah al-Azharīyah, d.ṭ., d.t.
- Dīwān ʿAntarah, taḥqīq wa-dirāsah: Muḥammad Saʿīd Mūlawī, al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, ṭ2, 1403H – 1983M.
- Dhawq al-Ṣalāh ʿinda Ibn al-Qayyim - raḥimahu Allāh - ʿĀdil ibn ʿAbd al-Shukūr ibn ʿAbbās al-Zarqī, Dār al-Ḥaḍārah li'l-

Nashr wa'l-Tawzīʿ, al-Riyāḍ - al-Mamlakah al-ʿArabīyah al-Saʿūdīyah, ṭ2, 1430H - 2009M.
- Rūḥ al-Maʿānī, Shahāb al-Dīn Maḥmūd ibn ʿAbd Allāh al-Ḥusaynī al-Alūsī, taḥqīq: ʿAlī ʿAbd al-Bārī ʿAṭīyah, Dār al-Kutub al-ʿIlmīyah – Bayrūt, ṭ1, 1415H.
- Sunan Abī Dāwūd, Abū Dāwūd Sulaymān ibn al-Ashʿath al-Azdī al-Sijistānī, taḥqīq: Shuʿayb al-Arna'ūṭ - Muḥammad Kāmil Qurah Billī, Dār al-Risālah al-ʿĀlamīyah, ṭ1, 1430H - 2009M.
- Sunan al-Tirmidhī, Muḥammad ibn ʿĪsā ibn Sawrah ibn Mūsā ibn al-Daḥḥāk, al-Tirmidhī, Abū ʿĪsā, taḥqīq wa-taʿlīq: Aḥmad Muḥammad Shākir, wa Muḥammad Fuwād ʿAbd al-Bāqī, wa Ibrāhīm ʿAṭwah ʿAwaḍ, Sharikah Maktabah wa Maṭbaʿah Muṣṭafā al-Bābī al-Ḥalabī – Miṣr, ṭ2, 1395H - 1975M.
- al-Sunan al-Ṣughrá li'l-Nasā'ī, li-Abī ʿAbd al-Raḥmān Aḥmad ibn Shuʿayb ibn ʿAlī al-Khurāsānī, al-Nasā'ī, taḥqīq: ʿAbd al-Fattāḥ Abī Ghuddah, Maktab al-Maṭbūʿāt al-Islāmīyah – Ḥalab, ṭ2, 1406 – 1986.
- Sharḥ Sunan Abī Dāwūd, li-Abī Muḥammad Maḥmūd ibn Aḥmad ibn Mūsā ibn Aḥmad ibn Ḥusayn al-Ghayṭābī al-Ḥanafī Badr al-Dīn al-ʿAynī, taḥqīq: Abī al-Munẓir Khālid ibn Ibrāhīm al-Miṣrī, Maktabah al-Rashd – al-Riyāḍ, ṭ1, 1420H -1999M.
- Sharḥ Ṣaḥīḥ al-Bukhārī li-Ibn Baṭṭāl, taḥqīq: Abī Tamīm Yāsir ibn Ibrāhīm, Maktabah al-Rashd - al-Saʿūdīyah, al-Riyāḍ, ṭ2, 1423H - 2003M.
- Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, Ṣaḥīḥ al-Bukhārī, li-Abī ʿAbd Allāh, Muḥammad ibn Ismāʿīl ibn Ibrāhīm ibn al-Mughīrah ibn Bardazbah al-Bukhārī al-Juʿfī, taḥqīq: Jamāʿah min al-ʿUlamā', ʿunāyah: Dr. Muḥammad Ẓuhayr al-Nāṣir, tarqīm al-Aḥādīth li-Muḥammad Fuwād ʿAbd al-Bāqī, Dār Ṭawq al-Najāh - Bayrūt, ṭ1, 1422H.

- Ṣaḥīḥ Muslim, li-Abī al-Ḥusayn, Muslim ibn al-Hajjāj al-Qushayrī al-Naysābūrī, taḥqīq: Muḥammad Fuwād ʿAbd al-Bāqī, Dār Iḥyā' al-Turāth al-ʿArabī – Bayrūt, d.ṭ., d.t.
- ʿArūs al-Afrāḥ fī Sharḥ Talkhīṣ al-Miftāḥ, li-Aḥmad ibn ʿAbd al-Lāṭīf ibn Aḥmad al-Miṣrī, al-Bajūrī, taḥqīq: Dr. Muḥammad Saʿīd al-Bābī al-Ḥalabī, al-Maktabah al-Ṭayyibah – al-Taʿmīmīyah, ṭ1, 1417H - 1996M.
- Fatḥ dhī al-jalāl wa-al-ikrām bi-sharḥ bulūgh al-maram, li-Muḥammad bin Ṣāliḥ al-'Uthaymīn, taḥqīq wa-ta'līq: Ṣubḥī bin Muḥammad Ramaḍān, Um Isrā' bint 'Arfa Bayūmī, al-Maktabah al-Islāmīyah lil-nashr wa-al-tawzī', ṭ1, 1427 H - 2006 M.
- Al-Fiqh al-Islāmī wa-adillatuh (al-shāmil lil-adillah al-shar'īyah wa-al-ārā' al-madhhabīyah wa-aham al-nazariyyāt al-fiqhīyah wa-taḥqīq al-aḥādīth al-nabawīyah wa-takhrījihā), A. Dr. Wahbah bin Muṣṭafā al-Zuḥaylī, Dār al-Fikr - Sūriyyah – Dimashq, ṭ12, d.t.
- Fiqh al-lughah wa-sirr al-'Arabīyah, li-'Abd al-Malik bin Muḥammad bin Ismā'īl Abū Manṣūr al-Tha'ālibī, taḥqīq: 'Abd al-Razāq al-Mahdī, Iḥyā' al-turāth al-'Arabī, ṭ1, 1422 H - 2002 M.
- Al-Qawl al-badī' fī al-ṣalāh 'alā al-ḥabīb al-shafī', li-Shams al-dīn Abū al-Khayr Muḥammad bin 'Abd al-Raḥmān bin Muḥammad al-Sakhāwī, Dār al-Riyān lil-turāth, d.ṭ, d.t.
- Kitāb al-'Ayn, li-Abī 'Abd al-Raḥmān al-Khalīl bin Aḥmad bin 'Amr bin Tamīm al-Farāhīdī al-Baṣrī, taḥqīq: Dr. Mahdī al-Makhzūmī, Dr. Ibrāhīm al-Sāmirra'ī, Dār wa-maktabah al-Hilāl, d.ṭ, d.t.
- Al-Kitāb, li-Sībawayh, li-Abī Bishr 'Amr bin 'Uthmān bin Qunbar al-Hārithī bi-al-walā', taḥqīq: 'Abd al-Salām Muḥammad Hārūn, Maktabah al-Khanjī, al-Qāhirah, ṭ3, 1408 H - 1988 M.

- Al-Kashshāf, li-Abī al-Qāsim Maḥmūd bin ‘Amr bin Aḥmad, al-Zamakhsharī Jār Allāh, Dār al-kitāb al-‘Arabī – Bayrūt, ṭ3, 1407 H.
- Al-Luma‘ fī al-‘Arabīyah, li-Abī al-Fatḥ ‘Uthmān bin Junay al-Mawṣilī, taḥqīq: Fa’iz Fāris, Dār al-kitāb al-thaqāfīyah – al-Kuwayt, d.ṭ, d.t.
- Laysa fī kalām al-‘Arab, al-Ḥusayn bin Aḥmad bin Khālūwiyah, li-Abī ‘Abd Allāh, taḥqīq: Aḥmad ‘Abd al-Ghafūr ‘Aṭṭār, Makkah al-Mukarramah, ṭ2, 1399 H - 1979 M.
- Al-Mithāl al-sā’ir fī dab al-kātib wa-al-shā‘ir, li-Ḍiyā’ al-dīn bin al-Athīr, Naṣr Allāh bin Muḥammad, taḥqīq: Aḥmad al-Ḥawfī, Badwī Ṭabānah, Dār nahḍah Miṣr lil-ṭibā‘ah wa-al-nashr wa-al-tawzī‘, al-Fajālah - al-Qāhirah, d.ṭ, d.t.
- Al-Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim bin al-Hajjāj, li-Abī Zakariyā Muḥyī al-dīn Yaḥyā bin Sharaf al-Nawawī, Dār Iḥyā’ al-turāth al-‘Arabī – Bayrūt, ṭ2, 1392 H.
- Musnad al-Imām Aḥmad bin Ḥanbal, lil-Imām Aḥmad bin Ḥanbal, taḥqīq: Shu‘ayb al-Arna’ūṭ - ‘Ādil Murshid, wa-ākharūn, ishrāf: Dr. ‘Abd Allāh bin ‘Abd al-Muḥsin al-Turkī, Mu’assasah al-Risālah, d.ṭ, d.t.
- Ma‘ālim al-sunan, sharḥ Sunan Abī Dāwūd, li-Abī Sulaymān Ḥamd bin Muḥammad bin Ibrāhīm bin al-Khaṭṭāb al-Bustī al-ma‘rūf bi-al-Khaṭṭābī, al-Maṭba‘ah al-‘ilmīyah – Ḥalab, ṭ1, 1399 H.
- Ma‘ārij al-qubūl fī sharḥ Ṣaḥīḥ al-Imām Muslim, li-Ḥāfiẓ al-Ḥakamī, d.ṭ, d.t.
- Mawsū‘ah al-ḥadīth al-sharīf al-kutub al-sittah, taḥqīq wa-tartīb: Dr. Aḥmad Maḥmūd Ṣubḥī, Dar al-taqwā – al-Kuwayt, ṭ4, 1411 H.
- Al-Minhāj sharḥ Ṣaḥīḥ Muslim bin al-Hajjāj, li-Abī Zakariyā Muḥyī al-dīn Yaḥyā bin Sharaf al-Nawawī, Dār Iḥyā’ al-turāth al-‘Arabī – Bayrūt, ṭ2, 1392 H.

- Naqd al-shi‘r, li-Qudāmah bin Ja‘far bin Qudāmah bin Ziyād al-Baghdādī, Abī al-Faraj, Maṭba‘ah al-Jawā’ib – Qusṭanṭīnīyah, ṭ1, 1302 H.
- Al-Nukat fī i‘jāz al-Qur’ān, ḍamn thalāth risā’il fī i‘jāz al-Qur’ān, li-‘Alī bin ‘Īsā bin ‘Alī bin ‘Abd Allāh, Abī al-Ḥasan al-Rumānī, taḥqīq: Muḥammad Khalaf Allāh, Dr. Muḥammad Zaghūl Salām, Dār al-ma‘ārif bi-Miṣr, ṭ3, 1976 M.
- Yanẓur: Talkhīṣ al-miftāḥ, li-al-shaykh Muḥammad bin ‘Abd al-Raḥmān al-Qazwīnī, Maktabah al-Bushrá, Karāchī – Bākistān, ṭ1, 1431 H - 2010 M.

al-Marāja‘ al-Mutajammah

- Usūs al-sīmā’iyyah, Dānīyal Chāndler (Daniel Chandler), tarjumah: Dr. Ṭalāl Wahbah, al-Munazzamah al-‘Arabīyah lil-tarjumah al-muda’wamah min Mu’assasah Muḥammad bin Rāshid Āl Maktūm, Bayrūt, Lubnān, d.ṭ., Uktūbar 2008 M.

- Al-Sīmīyātiyāt aw naẓarīyah al-‘alāmāt, Jīrār Dūlūdal (Gérard Deledalle), tarjumah: ‘Abd al-Raḥmān Bu‘Alī, Dār al-Hiwār, al-Lādhiqīyah – Sūriyā, ṭ1, 2004 M.

- Lughah al-jasad kayfa taqrā’ afkār al-ākharīn min khilāl īmā’ātihim, Āllan Bīz (Allan Pease), ta‘rīb: Samīr Shaykhānī, al-Dār al-‘Arabīyah lil-‘Ulūm, Lubnān - Bayrūt, ṭ1, 1417 H – 1997 M.

- Lughah al-harakāt, Nātalī Bakū (Nathalie Pacout), ta‘rīb: Samīr Shaykhānī, Dār al-Jīl, Bayrūt, ṭ1, 1425 H - 1995 M.

  Māhī al-sīmulūjīyā?, Barnār Tūsān (Bernard Tousan), tarjumah: Muḥammad Naẓīf, Maktabah Afrīqiyā al-Sharq, 2000, al-Dār al-Bayḍā’ – al-Maghrib, Bayrūt – Lubnān, ṭ2, 1994 M.